صالح الوردانـي

الكلمة والسيف

شهداء الرأي في تأريخ المسلمين

رقم الإيداع : ١١٦٠٧ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : ٥ ـ ٧٧ ـ ٥٧٥١ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨

ملحوظه : الكتاب قيد التنسيق والمراجعة

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

الكهف \ ٢٩

(إن هذه تذكرة فمن شاء إتخذ إلى ربه سبيلا)

الإنسان/١٩

تـقـديـم /

قضية مصادرة الرأي والبطش بأصحابه التي تسود واقع المسلمين اليوم ، ويتبناها رموز ومؤسسات وتيارات إسلامية ،إنما هى وليدة تلك المرحلة التي سادت فيها القبلية على جوهر الإسلام وحقيقته..

والروايات على حساب القرآن والعقل..

ويمكن القول أن تلك المرحلة بدأت بالفعل بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة حين بدأت تباشير مصادرة الرأي تظهر على الساحة، وحين سادت القبلية ، وضرب الخط الذي خطه الرسول وحدد معالمه للأمة من بعده..

ثم دخلت الأمة مرحلة جديدة من مراحل مصادرة الرأي بعد فترة حكم الخلفاء الثلاثة وهى المرحلة الأموية التي إخترعت فيها الروايات المنسوبة للرسول التي تضفي المشروعية على الوضع القائم..

ووجه بقسوة خط الإمام علي وأنصاره، المعارض لخط بني أمية الذي أرسى دعائمة معاوية بن أبي سفيان..

وشنت عليه أول حرب إعلامية في تأريخ المسلمين، أستخدمت فيها المنابر والروايات والفتاوى بهدف محوه وتشويهه..

ثم وضع السيف على رقاب أتباع هذا الخط ومن والاه من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، فقهاء وأدباء وشعراء وعامة..

وإمتدت قضية محاربة الرأي وتجريمه إلى الخوارج الذين أبتليت بهم الأمة، ذلك الخط القشري المتعصب الذي لا يفهم سوى لغة السيف، وقد بدأ صدامه مع الإمام علي وتكفيره، ثم تطور بعد ذلك إلى تكفير جميع المسلمين وإستحلال دمائهم وأموالهم..

ثم دخلت الأمة مرحلة تقنين جريمة الرأي ومصادرته، وضرب النصوص التي تدعمه وتحض عليه، وهى المرحلة العباسية التي دونت فيها الروايات المنسوبة للرسول ورتبت وفق معايير سياسية خاصة..

ثم صيغت العقائد التي تدعم الوضع السائد وتضفي المشروعية عليه، والتي تمخضت في النهاية عن بروز ما سمى (أهل السنة والجماعة) الذين أعتبروا أنفسهم أهل الحق والناطقين باسم الإسلام الحكومي..

ومع إستمرار التحالف بين القوى الحاكمة وأهل السنة ، أصبحت المذاهب والتيارت الأخرى في دائرة التجريم ، أصحابها من الزنادقة المبتدعين..

ومنذ العصر العباسي وظهور أهل السنة إستمرت عملية مصادرة الرأي والبطش بالمخالفين، وتبرير هذا البطش وإلباسه ثوب الشرعية على يد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين وحتى اليوم الذي دخلت فيه الأمة المرحلة النفطية ، وبرز فيها الدور السعودي الوهابي، الذي تفرخت خلالة التيارات السلفية التكفيرية والقتالية المعاصرة، وتطبعت به المؤسسات والرموز والأقلام في مختلف بقاع العالم الإسلامي..

وكان الدور السعودي الوهابي هو محصلة جهود القوى الحاكمة على مر تأريخ المسلمين ، والإمتداد الطبيعي لخط الخلفاء..

وفقهاء الوهابية اليوم هم نموذج لفقهاء الأمس ، وهم الخلف الذين باركوا كل صور مصادرة الرأي وتجريمه..

وما حدث من إنتهاكات للرأي عبر التأريخ إنما هو يرتبط بالمسلمين لا بالإسلام..

يرتبط بالحكام..

ويرتبط بالفقهاء..

ويرتبط بالروايات..

من هنا فقد ربطنا في هذا الكتاب جرائم الرأي إنتهاكات الحقوق والبطش بالمخالفين بالحكام والفقهاء والروايات المختلقة، وهذه في مجموعها تشكل تأريخ المسلمين لا تأريخ الإسلام..

وسوف يرى القاري من خلال هذا الكتاب ما يدعم هذه الحقيقة..

صالح الورداني

القاهرة

moc.oohay@inadrews

الإسلام الـشرعي و الإسلام الـوضعي

إسلام ساد وإسلام باد..

ماهى العوامل التي أدت إلى غياب الحريات عن واقع المسلمين..؟

وماهى العوامل التي دفعت بالمسلم إلى التعصب ورفض الآخر..؟

وماهى المبررات الشرعية التي تبيح إنتهاك أصحاب الرأي والبطش بهم..؟

والإجابة تكمن في السياسة التي منحت الفرصة كاملة لسيادة تيار محدد وتغليب روايات معينة مع تغييب الطرف الآخر والتعتيم عليه..

ومع تغييب الشورى وتثبيت الإستبداد..

وسيادة مذاهب على مذاهب..

ونفي الآخر أ ُ نتجت لنا صورة مغايرة للدين..

صورة أحادية فرضت على المسلمين وسادت واقعهم هى صورة الإسلام الوضعي..

ومعرفة هذه الصورة وتحديد ملامحها يعد مقدمة ضرورية للوصول إلى إجابات على التساؤلات السابقة..

- الـحكـام و الـديـن

وقفتالقوى الحاكمة على الدوام نداً للدين والرسل والمصلحين ، وكان سلاحها في هذه المواجهة هو الدين أيضاً ، لكنه دين آخر يتصادم مع دين الرسل والمصلحين ، وهذا الدين المستخدم من قبلها يحمل نفس ملامح الأديان ويتقمص صورتها إلا أنه فارغ المضمون..

وهوما تؤكده لنا حركة الرسل والأنبياء (ص) كما أبرزها القرآن..

والحاكم لا يمكن له أن يستغني عن سلاح الدين وإلا فقد المشروعية والقدرة على المواجهة والإستمرار في الحكم ، وهو لايمكنه إستخدام هذا السلاح إلا بمعونة الكهان من رجال الدين ، فمن ثم فإن هذه القوى لم تكن تقف وحدها في مواجهة الرسل والمصلحين بل كانت تعينها هذه الطائفة..

ومع الحكام والكهان كانت هناك قوة ثالثة تدعم هذا الصدام وتزكي نار المواجهة وهم أصحاب المصالح والنفوذ الذين عبر عنهم القرآن بالملأ المستكبرين..

وكانت هذه هى السنة التأريخية الثابتة في عالم الأديان ، أن كل دين يمر بحالة مواجهة ، وأن قادة المواجهة هم : الحكام والكهان وأصحاب المصالح..

وكثيراً ما كانت تنتهي هذه المواجهة بإنتصار هذه القوى وسيادة نموذج الدين الوضعي الذي تتبناه وتدعمه..

إلا أن هذا لايعني أن الرسل والمصلحين لم يتركوا أثراً على ساحة الواقع..

ولم ينجحوا في تكوين نخبة من أصحاب العقول والفطر النقية من المؤمنين بدعوتهم المستوعبين لحقيقة الدين..

والرافضين لتلك الصورة الزائفة التي تعمل على فرضها القوى الحاكمة..

وبالنظر إلى تاريخ المسلمين سوف يتبين لنا أن القوى الحاكمة في تاريخهم لعبت نفس الدور في مواجهة الإسلام ، فقد إستطاعت هذه القوى أن تفرغ الإسلام من محتواه وتفرض نموذجها على المسلمين..

وتمكنت بمعونة الكهان من إضفاء المشروعية على هذا النموذج..

والسؤال هنا هو كيف تم ذلك ..؟

والجواب تم ذلك بداية على يد الخلفاء ، ثم على يد الرواة ، ثم على يد الفقهاء الذين بنوا عقائدهم وأسسموا مذاهبهم على أساس الروايات..

الرواة والفقهاء وضعوا حجر الأساس للإسلام الوضعي..

والحكام أضفوا المشروعية عليه..

وأصبح منذ ذلك الحين الإسلامالشرعي غريباً معزولاً عن الواقع..

وأصبحت النخب التي تعبر عن هذا الإسلام وتنطق بلسانه تواجه شتى صور التضييق والبطش والإرهاب، وتم عزلها عن المسلمين وتحريضهم عليها..

وأصبح وجود الحكام ومستقبلهم وكذلك الفقهاء مرهون بوجود الإسلام الوضعي..

ومن هنا نشأ نهج التطرف في مواجهة الآخر ..

وأشهر السيف في مواجهة الرأي ..

وساد الإرهاب واقع المسلمين ..

ولم يكن أمام الحكام والفقهاء سوى تبني هذا النهج ..

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو : ما هى ملامح الإسلام الوضعي الذي ساد واقع المسلمين عن طريق الحكام والفقهاء ..؟

والجواب ملامحه تتركز فيما يلي :

مخاصمة العقل ..

رفض الحوار ..

إجهاض الرأي ..

إرهاب الآخر ..

الغلو في الرواية ..

وإسلام هذه ملامحه لابد وأن يكون السيف هو شعاره ..

والإسلام الشرعي يدعم العقل وينصف الخصم ويحترم الآخر وينصر الرأي ويقبل الحوار دون حدود أو قيود..
وشعاره التسامح والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ..

ولاشك أن مثل هذا النموذج الرباني يصطدم بقوة بالنموذج الوضعي ..

والصراع بينهما هو صراع بين الكلمة والسيف ..

وقد تبنى الحكام على مر التأريخ العديد من العقائد الوضعية التي تخدم مصالحهم وتدعم نفوذهم..

وكان تبني عقيدة ما تعد نصرة ودعماً للفقهاء الذين يتبنونها..

فمنهم من تبنى عقيدة الجبرية كحكام بني أمية..

ومنهم من تبنى عقيدة المعتزلة كالمأمون والمعتصم والواثق..

ومنهم من تبنى عقيدة الحنابلة كالمتوكل والقادر..

ومنهم من تبنى عقيدة الأشاعرة كصلاح الدين..

ومنهم من تبنى عقيدة الماتريدية كحكام بلاد ما وراء النهر..

وكان الخليفة القادر (ت٢٨٧ه) كما ذكر السيوطي في تأريخ الخلفاء وغيره قدصنف كتاباً في الأصول، ذكر فيه فضائل الصحابة ،على ترتيب مذهب أصحاب الحديث،وأورد في كتابه فضائل عمر بن عبد العزيز، وإكفار المعتزلة ,والقائلين بخلق القرآن..
وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث, بجامع المهدى، وبحضرة الناس..
وجميع هذه العقائد- عدا المعتزلة- تدور في محيط أهل السنة ، وعلى الرغم من ذلك سعى كل حاكم إلى فرضها على الآخرين من أهل السنة وغيرهم ، وهو ما شكل الخطر الأكبر على أصحاب الرأي..

وكما تبنى الحكام عقائد وفرضوها على المسلمين تبنوا أيضاً مذاهب وفرضوها عليهم..

قال الذهبي في تأريخ الإسلام : وفي سنة أربعين (٤٤٠ه)خلع المعز بن باديس متولي القيروان للعبيدية -الفاطميين- طاعتهم، وأقام الدعوة لبني العباس، وقطع دعوة المستنصر..
وذكر الذهبي في وفيات سنة ثلاث وستين وثلاثمائة :النعمان بن محمد أبو حنيفة المغربي الباطني قاضي مملكة المعز، وكان حنفي المذهب لأن الغرب كان يوم ذاك غالبه حنفية، إلى أن حمل الناس على مذهب مالك فقط المعز بن باديس..

وروى إبن تغري بردي في النجوم حوادث سنة ٤٥٤ه فيها توفي المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميري الصنهاجي سلطان إفريقية وما والاها من الغرب،كان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة، وأرسل إليه خلعة في سنة سبع وأربعمائة..

وعاش المعز إلىهذاالوقت. وكان ملكاً رئيساً جليلاً عالي الهمة، وهو الذي حسم مادة الخلاف ببلاد الغرب، وكان مذهب أبي حنيفة ظاهراً بإفريقية، فحمل أهل مملكته بالإشتغال بمذهب مالك وترك ما دونه من المذاهب..

وكان إختفاء دولة المهديلفاطمي من إفريقية واستقرارها بمصر قد فتح الأبواب لتغلغل مذاهب السنة ، وسيادة المذهب المالكي منها على الخصوص على حساب المذاهب الأخرى، مثل الإباضي والإسماعيلي والحنفي..

وأصبح هو المذهب الرسمي لدولة المرابطين، والدول التي حكمت المغرب بعد سقوط دولة الموحدين التي كانت تناصب المالكية العداء..

وروى المقريزي في المواعظ والإعتبار: كان السلطان الملك العادل نور الدين محمودبن عماد الدين زنكي بن آق سنقر حنفياً فيه تعصب، فنشر مذهب أبي حنيفة ببلاد الشام، ولم يكن في الدولةالأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل، ثم إشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في آخرها..
فلمكانالملكالظاهر بيبرس البندقداري ّ ، ولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة،وهم شافعي ّ ومالكي ّ وحنفي ّ وحنبلي ّ ، فإستمر ّ ذلك من سنة خمس وستين وستمائة، حتىيبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة، وعقيدة الأشعري ّ ..
وروى إبن كثير في حوادث سنة أربع وتسعين وخمسمائة:وفيها توفي السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن، صاحب المغرب والأندلس بمدينته، وكان قد بنى عندها مدينة مليحقبالها المهدية، وقدكان ديناً حسن السيرة صحيح السريرة، وكان مالكي المذهب، ثم صار ظاهريا حزمياً ثم مال إلى مذهب الشافعي، وإستقضى في بعض بلاده منهم قضاة..

وجاء العثمانيون الأتراك فتبنوا المذهب الحنفي الذي يبيح تولي الخلافة لغير القرشي ، وفرضوه على المسلمين، ليسود بلاد المشرق والشام ومصر..
وحتى تتضح الصورة لابد لنا من استعراض المقومات العقدية للإسلام الوضعي ..

-البداية الحنابلة

يقول إبن حنبل في رسالته التي أسماها عقيدة أهل السنة : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها ،من لدن أصحاب النبي (ص) إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ..

ويبدو واضحاً من لغة ابن حنبل أنها لغة أحادية متطرفة تحمل التهديد والوعيد للآخر ولا تتيح الفرصة لإبداء الرأي أو تجاوز حدود هذه العقيدة ..

ويظهر لنا من خلال كلامه أيضاً تلحفه بالإجماع والإتفاق على هذه العقيدة من قبل علماء الحجاز والشام وغيرهما كما عبر وأشار ..

قال إبن تيمية في العقيدة الواسطية : والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين..

وفكرة الإجماع من الأفكار التي اخترعها الفقهاء لإضفاء المشروعية على عقيدتهم وإلزام الأمة بالسير عليها، وتخويفهم من الإنحراف عنها ..

ومثل هذا يشير في وضوح إلى رد الفعل الشديد من قبله تجاه المخاصمين لمعتقده المخالفين لنموذج الإسلام الوضعي الذي يعد إبن حنبل هو واضع حجر الأساس له..

وهو ما يظهر بصورة جلية من خلال حالة رد الفعل المتشنجة التي أبرزها وهو يستعرض بنود عقيدته، وهى نفس حالة الفقهاء من أصحاب العقائد الأخرى العقائد الأخرى التي سوف نستعرضها فيما بعد ..

يقول في البند الأول من عقيدته :

الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة ، والإيمان يزيد وينقص ويستثنى فيه ..

وهذا الكلام هو رد فعل لكلام فرقة المرجئة والجهمية التي يعدها ابن حنبل والفقهاءجميعاً من ألد أعدائهم ..

والمرجئة يقولون أن الإيمان قول بلا عمل ولا يزيد ولا ينقص ..

والجهمية لا يقولون بالاستثناء في الإيمان ..

ثم يقول : ومن زعم أن الله شاء لعباده الذين عصوا الخير والطاعة ، وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية ويعملون على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئتهم العباد أغلب من مشيئة الله ..

ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء ،فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره ..

ومن زعم أن قتل النفس ليس بقدر الله فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله ، وأي كفر أوضح من هذا ..؟

ومثل هذا الكلام إنما هو رد فعل واضح لكلام الفرق والإتجاهات الأخرى المتعلق بالجبر والإختيار الرافضة لفكرة الجبرية، وأن المعصية مخلوقة من قبل الله تعالى، وهو ما يعتقده إبن حنبل والفقهاء تحت مسمى خلق أفعال العباد ..

ولاشك أن تبني مثل هذه المعتقدات الجبرية هو فى صالح الحكام الغارقين في المعاصي الباحثين عن تبرير وغطاء شرعي لمنكراتهم وفجورهم وظلمهم للرعية أيضاً ..

ومما يؤكد هذه النتيجة البنود القادمة من عقيدة إبن حنبل ..

يقول : ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها ، إلا أن يكون في ذلك حديث ..

ومثل هذه الشهادة تدعم الحكام المثقلون بالذنوب والمعاصي المرتكبون للكبائر وعلى رأسها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وهى في نفس الوقت تغلق الباب في وجه الإتجاهات الأخرى التي لا تقبل مثل هذه الشهادة وفي مقدمتها إتجاه المعتزلة ..

ثم يقول إبن حنبل ما يؤكد ربط عقيدته بالحكام : والخلافة في قريش ما بقى من الناس إثنان ، ليس لأحد أن ينازعهم فيها ، ولا يخرج عليهم ، ولا نقر لغيرهم بها إلى يوم القيامة ..

وفكرة حصر الخلافة أو الحكم في دائرة قريش فكرة سياسية إخترعها أصحاب السقيفة كي يدعموا أنفسهم بها في مواجهة الأنصار، ثم أصبحت سنة الحكام بعد ذلك وسلاحهم في مواجهة خصومهم، ممن هم أكفأ منهم وأجدر بتولي الحكم ..

والمسألة القرشية إنما هى نابعة من رواية منسوبة للرسول (ص) تقول : الخلافة في قريش ..

وهذه الرواية استخدمها ابوبكر وعمر في نزاع السقيفة ..

وقد عارض العديد من الفقهاء هذه الرواية وقالوا بجواز تولي الحكم من خارج دائرة قريش ، وعلى رأس هؤلاء أبو حنيفة ، وهو ما دفع بالعثمانيين الطامعين في حكم المسلمين إلى تبني المذهب الحنفي وجعله المذهب الرسمي للبلاد التي أخضعوها لهم ،مما نتج عنه بالطبع كتم أصوات الأغلبية التي تتبنى فكرة القرشية ..

وهذا يقودنا إلى حقيقة هامة وهى أن الحكام لا يتبنون فقط العقائد ويستخدمونها كغطاء شرعي لهم،بل يتلاعبون بها أيضاً حسب مصالحهم ..

ويستمر إبن حنبل في التأكيد على ربط عقيدته بالحكام وكونها في خدمتهم بقوله : والجهاد ماض قائم مع الإمام براً كان أو فاجراً ، ولا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ..

والجمعة والحج والعيدان مع الأئمة ، وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء ..

ودفع الصدقات والأعشار والخروج والفئ والغنائم إلى الأمراء سواء عدلوا فيها أو جاروا ..

والإنقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعة ولا تخرج عليه بسيفك ، يجعل فرجاً ومخرجاً ، ولا تخرج على السلطان بل تسمع وتطيع ، ولا تعن على فتنة بيد أو لسان ، بل كف يدك ولسانك وهواك والله عز وجل المعين ..

وهذه الأفكار التي تبناها إبن حنبل إنما إستخلصها من خلال الروايات المنسوبة للرسول (ص) التي سادت تلك الفترة وشكلت المناخ الذي نشأ فيه وغيره من الفقهاء الذين باركهم الحكام ودعموهم ..

ومثل هذه الأفكار إنما تجعل المسلمين طوع الحاكم ورهن إشارته، بل هم من ضمن ممتلكاته مسخرون لخدمته ، ويصلون ويحجون خلف حضرته ، ويقدمون له الأموال لتزداد قوته ، ويقاتلون تحت رايته ويجلبون له الغنائم من أجل متعته ..

وهكذا وطن إبن حنبل لفكرة الدولة الدينية والحاكم الذي يمثل ظل الله في الأرض ..

وبإستعراض نصوص كتب العقائد الأخرى التي وضعها فقهاء المراحل التالية لمرحلة إبن حنبل فسوف نراها مجموعة من الأفكار الموظفة لخدمة الحاكم وصورة طبق الأصل من عقيدته ..

قال أبو الحسن الأشعري في عقيدته المسماة عقيدة أهل السنة : وأجمعوا - أي الفقهاء-على السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وعلى أن كل من ولى شيئاً من أمورهم عن رضى أو غلبة من بر وفاجر، لا يلزمهم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل ، وعلى أن يغزوا معهم العدو ويحج معهم وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها ، ويصلى خلفهم الجمعة والأعياد ..

وقال الطحاوي في عقيدته المعروفة بالعقيدة الطحاوية : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم لا ننزع يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ..

ومن باب تأكيد نهج الحكام وإلزام الأمة بنموذج الإسلام الوضعي الذي فرضوه عليها ، ودفع الشبهات عن معاوية الذي يمثل خط الدفاع الأول لهذا الإسلام ، أضاف ابن قدامه المقدسي الحنبلي في عقيدته المسماة لمعة الاعتقاد النص التالى : معاوية خال المؤمنين ..

وهو يهدف من وراء هذه الإضافة إلى دعوة المسلم لتوقير معاوية بوصفه خال المؤمنين تلك الصفة التي استمدها من كونه شقيق السيدة رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبه) زوج رسول الله (ص) ..

ولم تنحصر بنود عقائد الفقهاء في محيط إضفاء المشروعية على الحكام، وتخدير المسلمين وتمرير الإسلام الوضعي ، بل إمتدت إلى المخالفين لهم والمتصادمين مع أفكارهم ورواياتهم، الرافضين للإسلام الوضعي فأصدرت فيهم الأحكام، وأطلقت عليهم السهام، وحرضت عليهم المسلمين والحكام ..

يقول إبن حنبل في عقيدته : والقرآن كلام الله ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر ، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل مخلوق أو غير مخلوق ، فهو أخبث من الأول ، ومن زعم أن ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي ، ومن لم يكفر هؤلاء فهو كافر ..

وأصحاب الرأي هم مبتدعة ضلال أعداء السنة والأثر ..

وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنة يريدون بذلك الطعن عليهم والإزدراء بهم عند السفهاء والجهال ..

فأما المرجئة فيسمون أهل السنة شكاكاً ..

وأما القدرية فيسمون أهل السنة مجبرة ..

وأما الرافضة فيسمون أهل السنة ناصبة ..

وأما الخوارج فيسمون أهل السنة نابتة وحشوية ..

وختم عقيدته بقوله : ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك ، ولا ترافقه في سفرك ..

وشدد إبن حنبل على معتقد عدالة الصحابة وعدم المساس بأشخاصهم أو الخوض في الخلافات التي وقعت بينهم معتبراً الذين يخالفون هذه القاعدة هم من الرافضة المبتدعة،فلا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم ، ومن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه ، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده في المجلس حتى يتوب ويراجع ..

واعتبر إبن حنبل أن التابعين وتابعي التابعين المتمسكين بالسنة المتعلقين بالآثار لا يعرفون بدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف ، وليسوا بأصحاب قياس ولا رأي، لأن القياس في الدين باطل والرأي كذلك أبطل منه ..

وقال الأشعري : وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة إلا بخير ما يذكرون به ، وأجمعوا على أن ما كان بينهم من الأمور لا يسقط حقوقهم ، وعلى أنه لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه وعما اختلفوا فيه أو في تأويله، لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم ، وأجمعوا على ذم سائر أهل البدع والتبري منهم، وهم الروافض والخوارج والمرجئة والقدرية وترك الإختلاط بهم ..

وقال الطحاوي : ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه المطهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق ، وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التنابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل ..

والإجماع المقصود به هنا هو إجماع أهل الفقهاء بالطبع فالإتجاهات الأخرى كانت مجرمة ولا يسمح لها بإعلان دعوتها وإظهار موقفها ..

ومحاولة نقد أفكار الفقهاء أو رفضها أو إبداء آراء أخرى مغايرة لها يعني الزيغ والضلال على المستوى الإيماني ، ويعني الضياع وقطع الرقاب على المستوى الحكومي ، وهو مصير أهل العقل وأصحاب الرأي ، والحكم الشرعي في أهل البدع حسب منظور الفقهاء ..

ومكمن الأزمة التي ولدت حالة التصادم مع أصحاب الرأي وبررت للحكام البطش بهم في تأريخ المسلمين إنما تعود إلى هذه الأفكار الوضعية التي عدها الفقهاء عقائد من صلب الإسلام ..

وفكرة النجاة من النار وربط هذه العقائد بالسلف هو الشعار الذي أسهم في تسويق هذه العقائد بين المسلمين من قديم، ودفع بهم إلى قبولها والتعصب لها..

وليست هذه العقائد في الحقيقة سوى مجموعة من البنود المذهبية التي إخترعها فقهاء المذاهب من خلال الروايات بهدف تحصين مذاهبهم في مواجهة خصومهم من المذاهب الأخرى، وهى في الحقيقة لا صلة لها بحقائق الدين وثوابته..

وهناك العديد من العقائد المنسوبة لفقهاء مثل العقيدة الأشعرية نسبة لأبي الحسن الأشعري ..

والعقيدة الماتريدية نسبة للماتريدي..

والعقيدة النسفية نسبة للنسفي..

وهناك عقائد أخرى منسوبة لبلدان مثل العقيدة الواسطية - التي ذكرناها - نسبة لمدينة واسط بالعراق..

والعقيدة الحموية نسبة لمدينة حماه بسوريا..

والعقيدة الأصفهانية نسبة لمدينة أصفهان بإيران..

وهناك العقيدة القادرية المنسوبة للخليفة القادر العباسي..

وتعد هذه العقائد حجر الزاوية والأساس في تجريم أصحاب الرأي وتبرير البطش بالمخالفين..

ويمكن تقسيم هذه العقائد إلى قسمين:

الأول سياسي..

والثاني مذهبي..

أما السياسي فهو ما أدخلوه على الدين من قواعد ومفاهيم محصنة بالروايات توجب الإعتقاد بعدالة جميع الصحابة، والسكوت عن التجاوزات والحوادث التي إرتبطت بهم ، وطاعة الحكام وإن فجروا وفسقوا ،وعدم الخروج عليهم والحج والجهاد من ورائهم..

وهذه القواعد التي تفوح منها رائحة السياسة ليس لها من سند شرعي سوى بعض الروايات المنسوبة للرسول والمختلف عليها بين الفرق والمذاهب ..

وعلى رأسها لزوم الجماعة والمسلم التي تقول: وَلا تكاد تجد كتاباً من كتب العقائد إلا وذكر فيه حديث افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ وَأَخَذَ مَالِكٌ ..

أما المذهبي فهو تبني رؤية أحادية تجاه مسألة أسماء وصفات الله تعالى ، ورؤية الله يوم القيامة،ووجوب الصلاة وراء كل بر وفاجر، وإعتبار المخالف لهذه العقائد من الزنادقة المبتدعين، وإعتبار أهل السنة الممثل الوحيد لعقيدة السلف، والناطق الشرعي باسم الدين..

وأهل السنة بمؤسساتهم وفقهائهم يواجهون المخالفين من أصحاب الرأي بقواعد ومفاهيم تم دعمها من قبل الحكام الذين إحتضنوهم، وأوهموا العامة أنها هى الدين، ومن إلتزم بها سار على الصراط المستقيم..

وقد منح الحكام أهل السنة فرصة التمكن والإنتشار على حساب المذاهب والتيارات الأخرى من شيعة ومعتزلة

وحتى مذاهب أخرى من أهل السنة كالأوزاعية والليثية والظاهرية، وهو ما أدى لحصولهم على صلاحية محاكمة الآخرين والبطش بهم..

وهذا الدعم الحكومي لهم هو مستمر حتى اليوم ، وذلك لكونهم يمثلون أكبر دعامة لهذه الحكومات في مواجهة التيارات التي تهددها..

ولما برزت الوهابية بدعم آل سعود سعت إلى تسويق نفسها بين المسلمين على أنها الممثل لأهل السنة، وأن أفكار إبن تيمية وإبن عبد الوهاب تنطق بلسان السلف الصالح..

وأفكار إبن تيمية وتابعه إبن عبد الوهاب تمثل أشد صور التحجر والتعصب والعدوانية، وهو ما يظهر لنا من التأريخ الدموي للوهابية في جزيرة العرب..

وما يظهر لنأيضاً من خلال التيارات الإسلامية المعاصرة التي تبنت الوهابية قلباً وقالباً بتأثير من الدعاية المكثفة التي صاحبت المرحلة النفطية..

وتكمن أزمة هذه التيارات في ذلك التعريف الذي وضعه ابن حنبل وإلتزم به الفقهاء من بعده والذي ينص على أن الدين : كتاب الله وآثار وسنن ..

والأديان عموماً ليس لها سوى مصدر واحد وهو الكتاب المعصوم ، وما دون ذلك من روايات وإجتهادات وفتاوى لاتخرج عن كونها تراث يحتاج إلى تمحيص وغربلة، ويجب أن يخضع في مجمله للكتاب ..

والمأزق الذي عاشته الفرق والمذاهب في الماضي ، والذي تعيشه الجماعات والمؤسسات والتيارات الإسلامية في الحاضر إنما يعود إلى الخلط بين الكتاب وهذا التراث ، أو تغليب الروايات وأقوال الرجل على الكتاب الأمر الذي يظهر بوضوح من خلال نموذج الإسلام الوضعي ..

وليس هناك من سبيل أمام المؤسسات والتيارات المعاصرة للخروج من هذا المأزق سوى التحرر من هذه الأفكار ، والتفريق بين ماهو وضعي وما هو شرعي ..

والتفريق بين القرآن والروايات وعدم جعلهما مصدراً واحداً ..

والتحرر من عقدة الرجال وإعتبار أن نقدهم أو المساس بهم لا يعني المساس بالإسلام ..

وهذا كله لن يتم تحقيقه إلا بالتحرر من ضغوط الحكومات ونموذج الإسلام الوضعي الذي فرضته على الأمة ..

إن حالة الأمن والانتشار والسيادة التي عاشها الفقهاء في ظل الحكومات المتعاقبة على مر تاريخ المسلمين، وإختفاء الإتجاهات المعارضة قد أدى بهم إلى الإستعلاء والإحساس بالقيمومة على الآخرين ، والإعتقاد بإمتلاك الحق في أيديهم ، وامتلاك صلاحية محاكمة الآخرين ..

حتى قال أبو داود السجستاني كما جاء في كتاب إعتقادات أهل السنة: إن من يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون..

ومثل هذا التصور هو الذي ولد التطرف والإرهاب في مواجهة الآخر وأصحاب الرأي ، فصاحب هذا التصور - مادام يؤمن بأنه صاحب الحق المطلق - لايمكنه قبول من ينازعه هذا الحق أو يشاركه فيه ..

ومن هنا يتبين لنا لماذا تتبنى التيارات الإسلامية المعاصرة الرؤية الأحادية المتشددة وترفض الرأي ولا تقبل الآخر .. ؟

إن مثل هذا الموقف لم يأت من فراغ إنما جاء نتيجة لقناعة هذه التيارات بمصدر التلقي المتمثل في السلف وقداسته ، تلك القناعة التي دفعت بها إلى تقبل أفكار الفقهاء والتعصب لها بإعتبارها الممثلة لنهج السلف الصالح الذي هو نهج الفرقة الناجية من النار التي تقود المسلمين نحو الجنة ..

وبسبب الفجوة القائمة بين الإسلام والواقع ..

وبسبب فساد فقهاء العصر ..

وبسبب إنحطاط المسلمين وتفرقهم ..

لهذه الأسباب فقدت هذه التيارات الثقة في أهل الحاضر ووجدت الحل في الرجوع إلى الماضي لتستمد منه القيم المفقودة في الحاضر ، وتلتمس منه القدوة الحسنة المتمثلة في السلف الصالح ، وتتلقى منه الأفكار الصحيحة كما صور لها الفقهاء ..

وكانت فكرة الفرقة الناجية من النار التي تتيح لأصحابها ضمان دخول الجنة بمثابة صمام الأمان الذي حقق الاطمئنان النفسي لهذه التيارات وحال بينها وبين الشك أو المراجعة لهذه الأفكار الموروثة ..

ومن هنا برز عقل الماضي ليسيطر على هذه التيارات ويقودها في مواجهة العصر ..

الــرأي و الــنص

الصدام الدائم..

بين الرأي والنص صدامات وتباعدات على مستوى التأريخ والتراثعموماً ، فتارة يقترب الرأي عن النص ، وتارة يبتعد عنه ..

وتارة يعدم الرأي ويسود النص..

وتارة أخرى يعدم النص ويسود الرأي..

وحركة التباعد والتقارب هذه كان يحكمها العامل السياسي المتمثل في الحكام، فكلما كان الرأيقريباً من الحكام كانمشروعاً، وكلما كانبعيداً عنهم كانمجرماً ..

ولم ينحصر هذا الموقف في حدود الرأي فقط بل تجاوزه إلى حدود النص الذي يصطدم معهم ، والذي كانوا يضطرون في أغلب الأحيان إلى تأويله وصرفه عن معناه، وتلك كانت مهمة الفقهاء بالطبع..

-ما هو النص..؟

والنص يطلق على الكلام المقروء والمسموع، لكنه في معناه الإصطلاحي يطلق على كلام الله ، وكلام الرسول(ص) الصحيح..

من هنا يمكن القول أن النص من باب الإصطلاح ينقسم إلى قسمين:

نص قرآني..

نص نبوي..

أما النص القرآني فينقسم إلى : ظني وقطعي ومحكم و متشابه ومطلق ومقيد وعام وخاص ومجاز وحقيقه وناسخ ومنسوخ وغير ذلك مما اصطلح عليه علماء اللغة والأصول..

أما النص النبوي فينقسم إلى : صحيح وضعيف وحسن وموضوع وغير ذلك مما اصطلح عليه علماء الحديث..

وعلماء الحديث ركزوا جهودهم على سنده(رواته) وأهملوا متنه (نصه)..

وهذه التقسيمات الخاصة بالنص القرآني والنبوي إنما هى صورة من صور الإبداع العقلي..

والقرآن أباح الحوار في أدق المسائل التي تتعلق بوجود الله وقدرته وأوامره..

ويبدو ذلك من خلال قوله تعالى للملائكة في سورة البقرة : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال إني أعلم مالا تعلمون)**

وعلى لسان إبراهيم في سورة البقرة أيضاً : (وَإِذْ قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

وعلى لسان موسى في سورة الأعراف : (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي)

ومن خلال قوله تعالى لإبليس : (**قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك.قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**)..

لكن الروايات جاءت لتناقض القرآن وتخالفه وتضرب الرأي وتمنع الحوار..

وقام الفقهاء بالتضييق على العقل وتكبيله على أساسها..

وكانت النتيجة أن علا الرجال فوق النصوص ، وأصبح الحق يعرف بالرجال، لا الرجال تعرف بالحق..

من هنا نشأت فكرة تجريم الخوض في النصوص إلا لطبقة الفقهاء ..

وفكرة قداسة الرجال ، وأصبح المساس بهم يعني المساس بالدين..

والنصوص هى الحدود والضوابط والمعايير التي يقاس على أساسها الرجال ، ومن إصطدم بها أو خالفها فقد إنحرف عن الحق ولو كانصحابياً ..

والنصوص القرآنية أو النبوية التي تؤكد الوحدانية والنبوة والبعث والنشور على وجه المثال لا مجال للخلاف حولها، أما النصوص التي تتعلق بالأحكام والتشريع فإعمال العقل فيها متاح لكل من يملك الأدوات..

وتبقى بعد ذلك النصوص التي تتعلق بالأخلاق والإرشاد والرجال وأمور الدنيا التي مجال الخلاف والبحث فيها مفتوح ومتاح للجميع، إلا أن الفقهاء قيدوهاأيضاً وإحتكروا تفسيرها..

والتأريخ يشهد بوقوع العديد من التجاوزات من قبل الصحابة والخلفاء والفقهاء ، كما يشهد بوقوع إنتهاكات لحقوق الإنسان على أيديهم..

والمتأمل في نصوص القرآن يتبين له أن النصوص المتعلقة بالأحكام لا تزيد على الخمسمائة آية، والنصوص الظنية التي لا ترمي لمعني محدد هى أكثر بكثير من النصوص القطعية التي لا مجال فيها للعقل والإجتهاد ، وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على مرونة القرآن في مواجهة الواقع والأحداث..

وكما تنص القاعدة الأصولية : النصوص متناهية والحوادث غير متناهية ، أي أن القضايا التي تتطلب تحديد حكم الإسلام فيها تتواتر بالملايين على مر الزمان ، بينما آيات الأحكام محدودة، وهذا يعني أن هذه النصوص بمثابة قواعد يجتهد على أساسها ويسترشد بها ..

وهنا يطرح الإستشكال التالي : مادام الأمر كذلك والإسلام يعطي هذه المساحة الواسعة للرأي والعقل ، فمن أين أتت تلك النصوص والقواعد التي أحدثت هذه البلبلة ، وأصبحت أسلحة تشهر في وجه أصحاب الرأي وتحول دون الإبداع والإجتهاد، وفي أحيان أخرى تودى بصاحب الرأي للتهلكة وتبرر نحره على رؤوس الأشهاد..؟

والحق ان السبب المباشر في هذه الإشكالية يعود إلى ما يلي :

كم النصوص المنسوبة للرسول التي تتناقض مع القرآن والعقل ، وتصطدم بالحريات..

دعم المذاهب والقوى الحاكمة لهذه النصوص..

الممارسات السياسية والقبلية والمذهبية التي إرتبطت برموز الصحابة والسلف..

وقد تشكل التراث الإسلامي على أساس هذا الرصيد الذي صبغته الروايات ، وطغت عليه أقوال الرجال ، وأصبح من الصعب التفريق بين النص وأقوال الرجال..

وتلك هى أزمة المؤسسات والتيارات الإسلامية المعاصرة التي تبنت هذا التراث دون وعي وتمييز، وهو ما أدى إلى جنوحها عن حقيقة الدين ، وتقديمها هذه الصورة الموحشة عنه..

-تجريم الرأي

من هنا ساد الإستبداد واقع المسلمين، وبرر الفقهاء هذا الإستبداد وأضفوا عليه المشروعية..

وكانت البداية مع معاوية الذي برروا جرائمه واعتبروها من باب الإجتهاد ، وعلى رأسها حرب صفين، وذلك بإعتباره صحابياً، وما دام المرء قد دخل دائرة الصحبة فقد دخل دائرة العدالة، وذلك حسب القاعدة التي إبتدعوها : من ثبتت صحبته ، ثبتت عدالته..

وبرر البعض منهم جرائم ولده يزيد، وعملوا على تحسين صورته، وإستمر موقف التبرير حتى شمل الحجاج بن يوسف الثقفي..

قال ابن كثير في البداية والنهاية عن مسألة الوصية لعلي ومن قال بوجود وصية وإنحراف الصحابة عنها : ومن ظن بالصحابة ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطئ على معاندة رسول الله (ص) ومضادتهم له في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكفر بإجماع الأمة والإعلام، ، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام..

وتيجة تقديس الصحابة على حساب النص إعتبر الفقهاء أن نقد الصحابة يعد نقداً للدين ويوقع صاحبه في دائرة الكفر، وهو ما يبرر إراقة دمه..

وعلى هذا الأساس قام الفقهاء بإغراء الحكام بقتل معارضيهم بإعتبارهم زنادقة مارقين، وإقامة محاكم التفتيش لأصحاب الرأي..

فتم قتل التابعي سعيد بن الجبير ونحر الجعد بن درهم في يوم عيد الأضحى كما تنحر الأكباش، وقتل المحدث النسائي صاحب السنن، وصلب الحلاج وقتل الشاعر إبن السكيت ثم السهروردي الفيلسوف،وعمارة اليمني الشاعر، وتكفير إبن عربي وإبن هاني الأندلسي الشاعر والمسعودي المؤرخ والأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ، وغيرهم من رموز الدين والفكر والأدب على ما سوف نبين..

وينبغي لنا هنا أن نلقي الضوء على المحاذير التي أدت لتجريم الرأي ، وهى محاذير تنبع من المعتقدات القديمة والقواعد التي وضعها فقهاء الماضي ، وهو ما نراه من خلال موقف التيارات الإسلامية المعاصرة من أصحاب الرأي والمخالفين على العموم الذي يقوم على عقل الماضي ولغة التكفير ومحاكم التفتيش ..

ويرفضون المساس بالتراث وتحطيم الحواجز التي تكبل العقل التي إخترعها الحكام وفقهاء الماضي ..

ومما سبق يتبين لنا أن الإضطهاد الدائم لأصحاب الرأي عبر تأريخ المسلمين، بالإضافة إلى كثافة المعتقدات والرويات التي يتحصنون بها قد أدت إلى تطبع المسلمين بالطابع السلطوي..

وكان من الأولى على الفقهاء ماداموا يعذرون في الدماء أن يعذروا في الأفكار..

فـقـه الـعـنـف

الجذور الفقهية والتأريخية..

متى بدأ العنف في واقع المسلمين ..؟

ومن أين نبع ..؟

أما متى بدأ العنف فيمكن تحديده بفترة ما بعد الرسول (ص)..

حين برز الصراع في سقيفة بني ساعدة وإستخدم العنف ضد الرافضين لسلطة قريش ، وإحراق بيت فاطمة بنت الرسول,,

وإستخدام العنف ضد الرافضين إخراج الزكاة والرافضين لحكم أبي بكر..

وإستخدام العنف من قبل أبي بكر ضد فاطمة وإنتزاع ميراث أبيها منها..

وإستخدام العنف ضد الشعوب غير المسلمة بمبرر الجهاد والغزو..

وإستخدام عمر العنف ضد الرعية..

وإستخدام العنف من قبل عثمان بن عفان ضد معارضي ..

وإستخدام العنف ضد عثمان وقتله..

وأستخدام العنف من قبل الخوارج ضد الرافضين لهم وقتلهم الإمام علي..

وإستخدام العنف من قبل عائشة ضد الإمام علي في حرب الجمل..

وإستخدام العنف من قبل معاوية ضد معارضيه وقتله الصحابي حجر بن عدي..

وكان معاوية هو أول من سن قطع الرقاب في تأريخ المسلمين..

وأول من سن نهج الدعاية والتعتيم على خصومه ومعارضيه..

وأول من فرض السب واللعن على المنابر..

وإستخدم يزيد بن معاوية العنف في مواجهة الحسين وأبناء الرسول في كربلاء ..

وإستخدم العنف ضد أهل المدينة الرافضين لحكمه وإستحلال دماء وأموال وأعراض أهلها في وقعة الحرة..

ومن بعد معاوية وولده جاء بنو مروان الذين أعملوا السيف في الأمة وإضطهدوا الموالي وغير المسلمين ، وتحولوا إلى جباة يكنزون الأموال بالسيف..

وحاول عمر بن عبد العزيز وضع الحق في نصابه ورد المظالم ، إلا أن القدر لم يمهله، ودارت دائرة العنف بالمسلمين من بعده مرة أخرى..

وإستخدم الحجاج العنف ضد إبن الزبير المعتصم بالكعبة وهدمها..

وإستخدامه العنف في مواجهة المخالفين وأصحاب الرأي حتى أصبح وصمة عار في جبين المسلمين دفعت بعض الفقهاء إلى تكفيره..

وجميع هذه الحوادث وقعت في القرن الأول من الهجرة الذي يعده الأغبياء من الفقهاء والمحدثين قرناً مباركاً,,

وفي القرون اللاحقة إستمر العنف على يد العباسيين وكبيرهم السفاح ثم المنصور وهارون والمتوكل وغيرهم..

ثم على يد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين من بعدهم..

وقد تصدى الرسول (ص) للعنف بجميع صوره وأشكاله، وأعلن رفضه له من خلال العديد من النصوص منها :

إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحدا إلا غلبه..

لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض..

الدين النصيحة..

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه..

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده..

إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ..

من حمل علينا السلاح فليس منا..

وغير هذا كثير..

- الفقهاء والعنف

نشأت طبقة الفقهاء على يد التابعين في عهد بني أمية وإستمدت مشروعيتها منهم ، وبدورها قامت بإضفاء المشروعية عليهم..

وقد إعتمد الفقهاء بداية على الروايات التي تم جمعها في العصر الأموي ثم العصر العباسي ، كما إعتمدوا على أقوال الصحابة ومواقفهم وممارساتهم في تأسيس مذاهبهم ..

تبنوا مواقف أبو بكر ضد مانعي الزكاة وبنوا على أساسها أحكام..

وتبنوا مواقف عمر وممارساته وبنوا على أساسها أحكام..

وباركوا عثمان ومعاوية وحتى ولده يزيد..

في الوقت الذي تجنبوا فيه الإمام علي ولم يتبنوا مواقفه..

وتبنى الفقهاء العديد من الروايات التي ترهب المسلمين وتكرههم على طاعة الحكام الطغاة الفاسقين، وتحض على ممارسة العنف على الآخرين..

ومن هذه الروايات:

الناس تبع لقريش..

من بدل دينه فاقتلوه..

لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس..

على المرء المسلم السمع والطاعة فيما حب وكره..

من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان..

من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه..

من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية..

من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية..

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا لإله إلا الله محمد رسول الله ، فإن قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم..

بعثت بالسيف بين يدى الساعة، حتى يعبد الله وحده، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم..

وعلى أساس هذه الروايات تم تقنين العنف ضد أصحاب الرأي والمخالفين بشكل عام..

فكل رافض لنظام الحكم القائم أصبح مهدداً بالقتل..

وكل صاحب رأي مخالف لنهج الحكم والفقهاء أصبح زنديقاً مرتداً..

وأصبح السيف هو شعار الإسلام لا الحكمة والموعظة الحسنة..

قال إبن رجب الحنبلي في رسالته المسماة الحكم الجديرة بالإذاعة في حديث بعثت بالسيف بين يدى الساعة :

في القرأن أربعة سيوف:

سيف على المشركين حتى يسلموا أو يؤسروا..

وسيف على المنافقين وهو سيف الزندقة..

وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية..

وسيف على أهل البغي ، ولم يسل الرسول هذا السيف في حياته..

ونقل قول النووي في تعريف الزنديق : الزنديق هو الذي يعترف بالدين ظاهراً ، لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف ما فسره الصحابة والتابعين وأجمعت عليه الأمة..

ومثل هذا التفسير للمقصود بالزنديق يفتح الأبواب على مصارعها للبطش بأصحاب الرأي والمخالفين للخط السائد ونهج الحكومات، وهو ما برر إراقة دما، الكثير من المسلمين على ما سوف نبين..

وقال المالكية : الزنديق أو المبتدع يقتل وإن تاب..

وقال الشاطبي في كتابه الإعتصام : إن السواد الأعظم - الأغلبية- هم الناجون من الفرق ، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ،ومن خالفهم مات ميتتة جاهلية، سواء خالفهم في شئ من الشريعة أو في إمامهم - الحاكم- وسلطانهم فهو مخالف للحق..

ويدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم مقتدون بهم ، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذو،وهم نهبة الشيطان..

ويدخل في هؤلاء - غيرهم- جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة ، لم يدخلوا في سواهم بحال..

ونقل أيضاً قول أحدهم : هم الذين إجتمعوا على السنة وأجمعوا عليها، وإجتمعوا على الحق وعلى أئمتهم، فجاء إسمهم ووصفهم مركباً من أهل السنة والجماعة، فهم أهل السنة حقاً الذين نقلوها وحفظوها وتمسكوا بها، وهم الجماعة التي عناها الرسول(ص) – أي في رواية ستفترق أمتي..

وعلى ضوء ما سبق حدد لنا الفقهاء الخارجين عن مفهوم الجماعة في المبتدعة وأصحاب الأهواء والمحدثات في الدين على أساس رواية : كل بدعة ضلالة..

ورواية : لا تجتمع أمتي على ضلالة..

ورواية : من أحدث في أمرنا هذا فهو رد..

وهم أصحاب المذاهب والإتجاهات الأخرى المخالفة لهم من المعتزلة والشيعة والقدرية والفلاسفة والمتكلمين وغيرهم..

وقال الشاطبي في كتاب الإعتصام : أهل السنة مأمورون بعداوة أهل البدع والتشريد بهم ، والتنكيل بمن إنحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه، وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم..

وروى قول إبن عباس في تفسير قوله تعالى: **(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)**

قال: فأما الذين إبيضت وجوههم فأهل السنة، والجماعة، وأما الذين إسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة..

وقال إبن تيمية في كتابه السياسة الشرعية : جوز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية للبدع المخالفة للكتاب والسنة ، وكذلك كثير من أصحاب مالك، وقالوا : إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لإجل الإفساد في الأرض لا لأجل الردة..

وقال إبن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم هو من أهل الأهواء، والبع ، أشعرياً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ويؤدب على بدعته ، فإذا تمادى فيها أستتيب منها..

وقال إبن القيم في كتابه الطرق الحكمية : إن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها ، وهى أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف ، وإتلاف آنية الخمر ، لفإن ضررها أعظم من ضرر هذه ، ولا ضمان فيها ، كما لا ضمان في كسر أواني الخمر..

وجاء في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب عن محمد بن سعيد الموثق أبو عبد الله قرطبي فقيه في مذهب مالك حافظ له ،كان يفتي بإستتابة الزنديق..
وأفتى قاسم إبن محمد - على مذهب مالك - بقتله دون استتابة..
وإذا كان هذا هو موقف الفقهاء من المخالفين المسلمين ، فكيف هو موقفهم من من غير المسلمين..؟

نقل إبن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة قول إبن حنبل : إن من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة..

وقول إبن تيمية : إن كل كنيسة في مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وبغداد ونحوها من الأمصار التي مصرها المسلمون بأرض العنوة- أي التي فتحت بالقوة- فإنه يجب إزالتها إما بالهدم أو غيره، بحيث لا يبقى لهم معبد في مصر مصره المسلمون بأرض العنوة، ، وسواء كانت هذه المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة، لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة..

وقول الشافعي : ولا يحدثوا – أي أهل الذمة-بناءاً يطولون به على بناء المسلمين، وأن يفرقوا بين هيئاتهم في المركب والملبس وبين هيئات المسلمين، وأن يعقدوا الزنار على أوسطانهم..

وقول محمد بن الحسن : لا ينبغي أن تترك في أرض العرب كنيسة ولا بيعة، ولا يباع فيها خمر ولا خنزيرمصراً كان أو قرية..

وروى أحمد في مسنده عن الرسول (ص) قوله : لا تكون قبلتان في بلد واحد..

وروى : لا خصاء في الإسلام ولا كنيسة..

وروى أبو داود : من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله..

تُساكِنُوا المُشْرِكِينَ ولا تُجامِعُوهُمْ فمَنْ ساكَنَهُمْ أوْ جامَعَهُمْ فَلَيْسَ مِنَّا..

وروى الترمذي : لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم..

وروى البخاري ومسلم وغيرهما : لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه..

وينقض هذا كله ما الله في سورة الممتحنة (لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ)

وهذا النص يوجب على المسلمين إلتزام الأدب والتسامح والبر مع مخالفيهم طالما أنهم لا يشهرون السيف في مواجهتهم ولا يعادونهم ..

وقد تجلت أبرز صور العنف وأشدها في دائرة الحنابلة الذين إرتبطت بهم معظم الفتن والصدامات الدموية التي وقعت في تأريخ المسلمين..

وكان إبن حنبل قد أفتى بكفر تارك الصلاة وعدم جواز دفنه في مقابر المسلمين ، كما أفتى بكفر القائلين بخلق القرآن..

وقد دونت كتب التأريخ الكثير من الحوادث التي وقعت في بغداد على يد الحنابلة ضد أصحاب المذاهب الأخرى ، خاصة الشيعة الذين كانوا محل تركيزهم الدائم..

وكان الحنابلة يهاجمون الناس في الأسواق ، والنساء في الطرقات، والفقهاء في المساجد، بدعوى مقاومة البدع والمنكرات..

وهى السياسة التي تبناها إبن تيمية الحنبلي بعد ذلك بقرون وأدت إلى ثورة الفقهاء عليه وحبسه ليموت في الحبس عام ٧٢٦هـ..

وقد أتهم كل من أحمد بن يحي بن إسحاق الرواندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء المعري بالزندقة ..

قال إبن قاضي شهبه : زنادقة الدنيا أربع : بشار بن برد وإبن الرواندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء المعري..

وهؤلاء الثلاثة أفلتوا من القتل رغم إتهامهم بالزندقة من قبل الفقهاء والمؤرخين، وعلى رأسهم إبن الجوزي والذهبي وإبن كثير وإبن العماد..

قال إبن خلكان عن الرواندي : العالم المشهور ، له مقالة في علم الكلام ، وكان من فضلاء عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عسر كتاب، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، توفى سنة خمس وأربعين ومائتين..

وقال إبن العماد في حوادث عام ٤٤٩ه : وفيها توفي أبو العلاء المعري اللغوي الشاعر صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة والذكاء المفرط والزهد الفلسفي وله ست وثمانون‌عاماً ، ذهب بصره وصغير ، ولعله مات على الإسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك ، وأوحى أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

وكذلك حال أبو حيان الذي شقى بعقله ، وضاق بالناس ولم يجد من يفقهه، فاتهم بالزندقة ، وكفر بالعلم وضاقت به السبل فأحرق كتبه..

وفي عصرنا الحالي أغرقت الوهابية التي تسير على نهج الحنابلة واقع المسلمين بكم هائل من الفتاوى المتطرفة ، التي أسهمت في نشر العنف وتوطينه ..

وعلى رأسها فتاوى التكفير التي طالت الجميع من صوفية وشيعة ومثقفين وعامة..

وفي فتوى تحمل رقم ٥٢١٣ صادرة عن لجنة الفتوى بدولة الوهابيين قالت : من إستهزأ ببعض المستحبات كالسواك والقميص الذي لا يتجاوز نصف الساق ، والقبض في الصلاة والشرب جالساً ،ونحوه مما ثبت حكمه بالسنة كفر بذلك ، لأنه بهذا يكون منتقصاً للرسول(ص)وشرعه ، والنقص بذلك أكبر كفر..

ومنذ وفاة الرسول وحتى اليوم لعب الحكام دوراً بارزاً في دعم العنف بطرق مباشرة وغير مباشرة..

وكان تبني نهج العنف من قبل حكومة عبد الناصر تجاه جماعة الإخوان قد أدى إلى دفعها نحو العنف وتولد التيارت القتالية والتكفيرية التي يعاني منها العالم بأكمله اليوم..

وكان نتيجة الإختراق النفطي للمؤسسات والتيارات الإسلامية، وإغراق ساحة المسلمين بالمنشورات والفتاوى الوهابية، أن تشبعت هذه المؤسسات والتيارات بفقه العنف النابع من فكر الحنابلة وإبن تيمية ، وبدأت تبني مواقفها وممارساتها على أساسه، لتصبح نسخة عصرية من الحنابلة القدامى..

من هنا يمكن القول أن مسألة العنف وبروزه في واقع المسلمين على مستوى الماضي والحاضر إنما يتحمل مسئوليته الحكام في المقام الأول، والفقهاء في المقام الثاني..

ــ الرأي والرواية

ولما كانت الرواية هى سلاح الحكام في مواجهة خصومهم وسلاح الفقهاء في مواجهة أصحاب الرأي، كان لابد للفقهاء من تحصين رواياتهم وإبعاد الشبهات عنها، وعزل الروايات الأخرى التي تضر بمذهبهم..

والمتتبع لتأريخ هذه الروايات وأسانيدها يتبين له أنها واهية من جهة المتن ومن جهة السند، وكان يمكن لها أن تندثر ولا يكون لها وجود لو قدر لها الدخول في مواجهة عادلة مع أصحاب الرأي ، إلا أن دعم القوى الحاكمة لها والفقهاء هو الذي مكن لها ومنحها القوة والديمومة والإنتشار..

من هنا قام علماء الرجال أو الحديث بإثارة الشبهات حول أصحاب الرأي وإغلاق باب الرواية في وجوههم، وهو ما فتح الأبواب على مصارعها لشيوع الروايات التي تحض على العنف وتوضد للخرافة وتنصر الحكام، وأصبح ليس هناك مجال لنصوص القرآن والعقل والروايات الصحيحة التي تتوافق معهما..

وقد نقلت لنا كتب الرجال مثل كتاب ميزان الإعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب لإبن حجر العسقلاني والرفع والتكميل للكنوي الكثير من الفتاوى الحديثية الموجهة ضد أصحاب الرأي..

قال إبن حنبل : لا أروي عن أهل الرأي..

وقال : مازلنا نلعن أهل الرأي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي..

وقال إبن حجر في ترجمة محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري : من قدماء شيوخ البخاري، ثقة وثقه إبن معين وغيره، قال أحمد : ما يضعه عند أهل الحديث إلا النظر في الرأي..

وقال في ترجمة الوليد بن كثير المخزومي : وثقه إبراهيم بن سعد وإبن معين وأبو داود..

قال الساجي : قد كان ثقة يحتج بحديثه ، لم يضعفه أحد ، إنما عابوا عليه الرأي..

وقال الذهبي عن معلي بن منصور الرازي : إمام مشهور ثقة، كان أحمد لا يروي عنه للرأي..

وقال في ترجمة الحارث المحاسبي (ت٢٤٣ه) : المحاسبي العارف صاحب التصانيف صدوق في نفسه ، وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه..

وقال الخطيب البغدادي في تأريخ بغداد عنه : أنى أبا زرعة الرازي سئل عن الحارث وكتبه، فقال: إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر – أقوال الصحابة والتابعين – فإنك تجد فيها ما يغنيك عن هذه الكتب..

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : أصحاب الرأي لا يروى عنهم الحديث..

قال القاضي أبي يعلي : وهذا محمول على أهل الرأي من المتكلمين كالقدرية ونحوهم..

وقال جمال الدين القاسمي في كتابه الجرح والتعديل : وقد تجافى أرباب الصحاح - أي أصحاب كتب السنن الستة – الرواية عن أهل الرأي ، فلا تكاد تجد لهم إسماً في في سند من كتب الصحاح أو المسانيد أو السنن، كالإمام أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، فقد لينهما أهل الحديث، ولعمري لم ينصفوهما وهما البحران الزاخران، وآثارهما تشهد بسعة علمهما وتبحرهما، بل بتقدمهما على كثير من الحفاظ، ولكن التعصب..

ولقد وجد لبعض المحدثين تراجم لأهل الرأي يخجل للمرء من قراءتها فضلاً عن تدوينها ، وما السبب إلا تخالف المشرب، على توهم التخالف ، ورفض النظر في المآخذ والمدارك، التي قد يكون معهم الحق في الذهاب إليها، فإن الحق يستحيل أن يكون وقفاً على فئة معينة دون غيرها ، والمنصف من دقق في المدارك غاية التدقيق ثم حكم..

وقال عبد الله بن المبارك : دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف..

وقال إبن حجر في هدي الساري مقدمة شرحه للبخاري عن ثور بن يزيد الحمصي : كان الثوري يقول عنه : خذوا عنه واتقوا لا ينطحكم بقرنيه ، يحذرهم من رأيه..

ويحدد لنا إبن حجر الإتجاهات المنبوذة من قبل رواة الأحاديث والفقهاء -وهى منبوذة أيضاً من قبل الحكام- في المرجئة الشيعة والقدرية والجهمية والنواصب والخوارج والإباضية والقعدية والوقفية..

والمرجئة يعرفها إبن حجر بأنها فرقة تقول : بتأخير الحكم في تصويب إحدى الطائفتين الذين تقاتلوا بعد عثمان ، والإيمان عندهم الإقرار والإعتقاد ، ولا يضر العمل مع ذلك..

والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه..

والقدرية من يزعم أن الشر فعل العبد وحده..

والجهمية من ينفي صفات الله تعالى التي أثبتها في الكتاب والسنة، ويقول القرآن مخلوق..

والنصب بغض علي وتقديم غيره عليه..

والخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرءوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم..

والإباضية أتباع عبد بن إباض وهم فرقة من الخوارج..

والقعدية الذين يزينون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك..

والوقفية من يقولون القرآن لا مخلوق ولا ليس بمخلوق..

وعلى ما يظهر لَن هذه الإتجاهات لا تتبنى أفكاراً أو معتقدات تتناقض مع الدين، وأفكارهم ومعتقداتهم تصطدم بمذاهب الفقهاء أو المذهب الحكومي السائد..

ولم يشر إبن حجر إلى المعتزلة لكن إتجاههم مشمول ضمن كلامه ، لكونهم يحكمون العقل ، ويقولون بأن القرآن مخلوق، ويرون نقد الصحابة..

ومما سبق يتأكد لنا أن الفقهاء والرواة حصنوا أنفسهم بجدار من حديد كي لا ينفذ لعالمهم أصحاب الرأي ، أو أي من الإتجاهات الأخرى ويروي عنهم ما يكرهون..

ولم يكتف الفقهاء بغلق الأبواب في وجه الرواة من خارج دائرة الخط السائد، وحصر سند الرواية في حدود الرواة المرضي عنهم، بل قاموا بإضفاء القداسة على متون الرويات ومنعوا المساس بها، وهذا المنع بالطبع لمن هم خارج دائرتهم من الإتجاهات الأخرى..

لقد أدرك الفقهاء أن فتح الباب لنقد متون الروايات سوف تكون نتيجته هدمها..

من هنا إخترعوا العديد من القواعد التي تحصن الروايات وتحول دون المساس بها..

وعلى رأسها قاعدة عدالة الصحابي وعدم جواز تجريحه، والشك والتجريح يكون في حدود الناقلين عن الصحابي من التابعين وتابعي التابعين، وفي حدود السند فقط دون المساس بالمتن، حتى ولو كان المتن يصطدم بالقرآن..

ثم جاءت فكرة ربط الروايات بالقرآن ، أو السنة بالكتاب لتهدد أصحاب الرأي وأنصار العقل ، وترهب كل من يفكر المساس بالروايات، إذ أن ربطها بالكتاب يعني أن المساس بها يعد مساساً بالكتاب..

وجاء الفقهاء برواية تقول : أوتيت الكتاب ومثله معه ، أي السنة..

ورواية تقول: تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي..

قال إبن تيمية في كتابه نقض المنطق : أساس الزندقة والرفض - المقصود الرافضة - الطعن في الأدلة والأخبار ، وعمدة كل زنديق ومنافق إبطال أحاديث رسول الله والطعن فيها..

ونقل قول يحي النيسابوري : الذب عن السنة أفضل من الجهاد..

وقول مالك : السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك..

وقول الزهري : كان علماؤنا يقولون : الإعتصام بالسنة هو النجاة..

ولازالت المعارك التي تدورحول تصحيح الروايات من الماضي إلى الحاضر تنحصر في محيط السند لا في محيط المتن..

وتهمة الردة والزندقة التي طالت أصحاب الرأي من قديم إنما طالتهم بسبب إعمال عقولهم في متون الروايات ، خاصة الروايات التي تتعلق بصفات الله سبحانه، وهو ما أدى بهم لرفضها ، والشك في نسبتها للرسول(ص)..

وإستخدام العقل والرأي في منظور الفقهاء يعد صورة من صور الزندقة ، وهذا التجريم من قبلهم يهدف إلى المحافظة على هذه الروايات التي يحتمون بها ويرتبط بها مصيرهم ومصير الحكام أيضاً..

القرآن والرأي

لاحدود ولا قيود..

تبين لنا مما سبق أموقف الرواية من الرأي وأصحابه والتصادم بينهما ، وزيادة في وضوح الرؤيا لابد لنا من إستعراض نصوص القرآن التي تتعلق بالرأي ..

وسوف نعرض هذه النصوص من خلال محورين:

الأول : حرية الرأي..

والثاني : حرية المعارضة..

والمتأمل في تأريخ المسلمين لا يجد لنصوص القرآن هذه أي دور في واقعهم، فقد تم حجبها تماماً والتعتيم عليها لعدم قدرة القوى الحاكمة على التعايش معها..

وبخلو الساحة من هذه النصوص سادت الروايات وأقوال الرجال وكان نتيجتها تمكن الإستبداد والبطش بأصحاب الرأي ، تلك الممارسات التي أسهمت في تشويه الإسلام..

وفيما يتعلق بحرية الرأي فإننا نراها بوضوح من خلال الحوار الذي دار بين الملائكة والله سبحانه من خلال سورة البقرة..

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة

قالوا أتجعل فيها من يفسد فيهاوَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ

إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ

ومن خلال الحوار الذي دار مع إبليس من قبل الله تعالى من خلال سورة ص..

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ .
تُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ .
فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ .
إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ .
يسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ .
خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ .

فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ .

إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .
رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ .
مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ .
فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ .
فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وهذا الحوار الصريح الذي دار بين الخالق سبحانه ومخلوقاته إنما يكشف لنا مدى سعة حدود الرأي والمحاورة بل والمعارضة ، فعلى الرغم من رفض إبليس تنفيذ أمر الله وتحديه للقرار الإلهيوجهاً لوجه إستمع الله سبحانه إلى حجته..

وعلى الرغم من صدور القرار الإلهي بطرده ولعنه ورجمه إلى يوم الدين قبل سبحانه طلبه رغم إن ما سوف تأتي به على البشرية من شر وويلات .ز

وهو سبحانه يؤكد لنا مبدأ حرية الكلمة وحرية الإختيار..

وكما هو منحها للملائكة وآدم ، منحها لإبليس..

ومادام الله قد منح إبليس حق البقاء وسلطة الإغواء فإن هذا يعني أن من يتبعه ويسير على دربه ويرفع رايته من بني البشر لهم الحق في البقاء والحرية وفق المبادئ والمعتقدات التي إعتنقوها ، فالمسألة تدور في محيط حرية الرأي والإختبيار..

ومادام الله قد منح البشر حرية الإختيار فإن هذا يعني إنعدام العقوبة في الدنيا على الإنحياز لإبليس والإنحراف عن سبيل الله..

والله سبحانه لم يمنح إبليس سلطة إكراه الناس على فعل الشر ، كما لم يمنح آدم سلطة إكراه الناس على فعل الخير..

إن آدم وإبليس كلاهما حر، وقد أقر الله سبحانه لهما بهذه الحرية، وتعامل مع كلاهما على أساسها..

وإذا كان الله تعالى قد منح آدم وإبليس حرية مخالفته،أليس من الأولى أن يمنح المسلمون الآخرين حرية مخالفتهم..؟

وفي قصة موسى حدد القرآن موقفه من فرعون على أساس حرية الإختيار..
ولم يطلب موسى من فرعون الدخول في دين الله..
ولم يكن يهدف للقضاء على فرعون، بل كان يهدف لتحرير بني إسرائيل من عبوديته..
ولقد تجاوز فرعون حدود العناد والخصومة مع الله ورسوله ، ودخل في صدام مع موسى بدافع الغرور مما أدى إلى القضاء عليه ليكون عبرة لطواغيت الأرض..
كان فرعون قد تخطى حدود الحكمة والحوار إلى التآمر والبطش بموسى وقومه فحاق به سوء عمله ، ليس بسبب كفره وتحديه لله وا نما بسبب جرمه وعدوانه، ورفضه منح بنو إسرائيل حق الإختيار..
وهنا يطرح السؤال التالي : هل التجريم يقع على المخالف لله ، أم على المخالف للفقهاء..؟

والجواب هو أن التجريم يقع على المخالف لله بالطبع..

إلا أن الله سبحانه لم يجرم مخالفه والكافر به في الحياة الدنيا..

وهذا يدعوا المسلمين إلى تبني فكرة الإرجاء وترك مخالفيهم وشأنهم، وإيكال أمرهم إلى الله تعالى..

والقرآن لم ينص على قتل المرتد، بينما جاء الرواة برواية تقول : من بدل دينه فاقتلوه..

وتبنى الفقهاء هذه الرواية وجعلوها من الأحكام الشرعية الثابتة..

وكان تبنيهم هذا الحكم بالإضافة إلى تجريمهم للرأي وبطشهم بأصحابه يعد بمثابة إعتداء على سلطة الله، وخروج على كتابه الذي أنزله هداية لمن شاء من عباده..

جاء في سورة التحريم: (يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

وفي سورة النحل: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)

وفي سورة الكهف: (وَرَبُّكَ الغفور ذُو الرحمة لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العذاب)

وفي سورة فاطر: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)

وأمام هذه النصوص لا مجال لتلك الرؤى المتطرفة المعادية للرأي وأصحابه، وقد أعلن اليهود معرضتهم لله جهرة ،وقالوا في الله الكثير..

وقال النصارى مثلما قال اليهود، وكان موقف القرآن هو الرد على شبهاتهم ودحضها ..

وا إذا كان القرآن قد تبنى هذا الموقف تجاه اليهود والنصارى، فكيف يكون الموقف من المسلمين المخالفين..؟

وكذلك حدد القرآن موقفه من المنافقين في حدود البيان والتنبيه والتحذير..

ولقد تعامل الرسول (ص) مع اليهود والنصارى والمنافقين على أساس حرية الرأي والإختيار، فهو حق منحهم الله إياه، ولا يجوز للرسول أو غيره أن يسلبهم هذا الحق..

وحرية الرأي والإختيار قاعدة تنطبق على جميع الرسل والرسالات..

وهو ما يظهر لنا من خلال قوله تعالى في سورة البقرة : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)

وقوله في سورة الكهف: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

وقوله في سورة الإنسان (إن هذه تذكرة فمن شاء إتخذ إلى ربه سبيلا)

وقوله في سورة الغاشية : (إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر)

ومثلما تنطبق هذه القاعدة على الرسل والرسالات تنطبق على الفقهاء والمذاهب..

وإذا كان هذا هو موقف القرآن من الآخر الذين عاندوا وكفروا فمن أين جاءت مبررات البطش والتنكيل بالمخالفين..؟

والجواب يتمثل في الإنخراف عن نصوص القرآن والإلتزام بالروايات وأقوال الرجال، فهذه الروايات والأقوال هى التي جنت على المسلمين وزرعت بذور الشقاق بينهم، وبررت إضطهاد أصحاب الرأي ..

ويقدم لنا القرآن العديد من الشواهد الأخرى في مجال الحوار وحرية الكلمة، وهو ما نلمسه من خلال الحوار الذي دار مع الملائكة وإبليس، وإجابة الله سبحانه لطلب إبراهيم (ع) لرؤية عمليه إحياء الموتي ..

وعدم معاقبة موسي (ع) الذي تجاسر بطلب رؤيته..

وليس الهدف من إجابة طلب إبراهيم هو إثبات حالة أو حدث، بقدر ما هو عملية تعليمية تحمل دلالات واسعة لحرية الحوار وسعة الأفق، فليس إبراهيم من أهل الشك ، ولا يجوز هذا في حق الرسل، وسؤاله عن الكيفية وليس عن القدرة..

من هنا استجاب الله سبحانه لطلبه وأعطاهدرساً عملياً وحسياً في الخلق والبعث..

وهى نفس الحالة بالنسبة لموسى الذي قدم له اللهدليلاً حسياً على وجوده وقدرته..

ومثل هذه الحقائق الساطعة التي يبرزها لنا القرآن في مجال الحوار وحرية الرأي تتساقط أمامها الروايات المنسوبة للرسول التى تحجر على العقول وتكمم الأفواه..

وتتساقط أقوال الفقهاء ونصوصهم الإرهابية التي ألحقوها بالعقائد ويهددون بها أصحاب الرأي والمخالفين..

ويتضائل أمامها الرجال بشتى صورهم ومكانتهم من صحابة وتابعين وتابعي التابعين..

وإذا كان الله سبحانه قد تسامح مع الملائكة التي إعترضت على خلق آدم..

وكان الرد عليهم هو : (إني أعلم مالا تعلمون)

وإذا كان قد تسامح مع إبليس الذي عارضه جهرة ورفض تنفيذ أوامره..

وقابل سبحانه هذا الرفض بالحوار والبيان..

فلماذا لم يتسامح الفقهاء مع أصحاب الرأي والرافضين لمذاهبهم..؟

والجواب يكمن في التعصب الذي ولد الإرهاب..

التعصب للرجال من صحابة وتابعين..

والتعصب للروايات والناقلين لها..

وهذا التعصب لم يكن ليحدث أثراً، أو يلحق أذى بأحد لولا دعم الحكام..

وما كان يمكن أن تكون هناك قيمة للفقهاء ومذاهبهم ورواياتهم في ظل مناخ تسوده الحرية وتداول الآراء..

وإذا وجدت لهم قيمة فلن تكون مؤثرة وطاغية..

ونحن نعيش اليوم المثل الحي لهذا في ظل دولة الحنابلة الوهابيين في جزيرة العرب، فهذه الدولة هى صورة طبق الأصل من دول الماضي التي تلحفت بالإسلام الوضعي..

والفقهاء الذين يعيشون في ظلها هم نفس نموذج فقهاء الماضي ويتبنون نفس الرؤية المتشددة المتعصبة تجاه أصحاب الرأي والمخالفين، بل ويبطشون بهم ويريقون دمائهم..

وما كان لهم أن يقوموا بهذا الدور لولا المناخ الإستبدادي الذي أوجده لهم حكام آل سعود، وأزاح من أمامهم المذاهب والتيارات الأخرى..

وهو نفس المناخ الذي أوجده حكام الماضي لفقهائهم..

وهنا تتكشف لنا لعبة السياسة ودورها..

وفي تجارب الرسل والحوارات التي دارت مع أقوامهم المزيد من الدلائل على سعة الحوار وعدم محدوديته في حدود أمور تتعلق بأصول الدين وثوابته لا بالروايات والرجال..

شهـداء الـرأي

الكلمة والسيف

تأريخ المسلمين يقطر بدماء العباد..

دماء أريقت من أجل الحكام..

ودماء أريقت من أجل التوسع والسيطرة..

ودماء أريقت من أجل الكلمة..

وموضوعنا هنا هو تلك الدماء التي أريقت من أجل الكلمة، حيث لم يكن هناك حوار ولا ، ولم يكن هناك تسامح، بل كان هناك حكام وفقهاء وسيوف..

وجبهة الحكام والفقهاء لم تكن تفهم سوى لغة السيف..

وخصومهم لم يكونوا يملكون سوى لسانهم..

من هنا كثر شهداء الرأي الذين تدفقت دماؤهم لتسطر لنا تأريخ القهر والإستبداد..

ومن خلال هذا الفصل سوف نتعرف على نماذج من هؤلاء الشهداء..

وسوف نتعرف أيضاً على أعداء الرأي والحرية.

حجر بـن عـدي

نعم لعلي لا لمعاوية..

كان حجر بن عدي من الذين وفدوا على الرسول (ص) في المدينة ومعه شقيقه هاني بن عدي ، كان من فضلاء الصحابة ،شهد القادسية وشهد وقعة الجمل وصفين مع الإمام علي..

ولما قتل علي والحسن من بعده مسموماً، ودانت الكوفة لمعاوية ، ولي عليها زياد بن أبيه فأظهر الغلظة والسوء، فأعلن حجر خلعه ولم يخلع معاوية، وتابعه على ذلك جماعة من شيعة علي..

وتأكد لزياد أن حجراً وأصحابه مصدر قلق وإضطراب في الكوفة فأرسل إلى معاوية في الشام يخبره بالأمر، فأمره أن يبعث به وبأصحابه إليه، فبعث بهم إليه فأمر بقتلهم في مرج عذراء بغوطة دمشق..

وتشهد كتب التراجم والطبقات أن قتل معاوية حجراً أثار غضب المسلمين..

قال إبن العماد في شذرات الذهب في أخبار من ذهب عن أحداث عام ٥١ه : وفيها قتل حجر بن عدي وأصحابة في مرج عذراء من أرض الشام بأمر معاوية..

ولم يصدر عن أحد من الفقهاء ما يدين معاوية على جريمته الشنعاء في حق صحابي جليل هو أرفع منه قدراً ، وأعظم منه مكانتة عند الناس وعند الله..

قال ابن كثير في تأريخه: يستحب زيارة قبور الشهداء بقرية عذراء وهم حجر بن عدي الكندي حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن همام وقبيصة بن ضبيعة العبسي وصيفي بن نسيك الشيباني وشريك بن شداد الحضرمي ومحرز بن شهاب السعدي وكرام بن حيان العنزي كلهم في ضريح واحد بجامع القرية المزبورة وهي مكتوبة على لوح من صخرة..

ميثم التمار

أول المصلوبين في تأريخ المسلمين..

كان معاوية قد فرض على أهل العراق والمدينة والشام وسائر البلدان الخاضعة لنفوذه سب االإمام علي على المنابر والبراءة منه بعد مقتله وإستتباب الأمر له..

وصار ذلك سنة في أيامه إستمرت تسعة عشر عاماً وبضعة أشهر ، كان يقتل فيها كل من يظهر الولاء لعلي بن أبي طالب، كما صارت سنة من بعده في أيام بني أمية، حتى جاء عمر بن عبد العزيز فمنع ذلك، وأمر الخطباء في المساجد أن يتلوا قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر..) بدلاً من سب علي..

وكان ميثم بن يحي التمار عبداً لإمرأة من بني أسد فاشتراه الإمام علي وأعتقه، فأصبح من حواريه والملتصقين به..

وكان شأن ميثم مع علي كشأن سلمان مع النبي (ص) حين كان مملوكاً لإمرأة يهودية فاشتراه النبي وأعتقه وقربه إليه..

وكما أخذ سلمان العلم من النبي ، أخذ ميثم العلم من علي..

ولقب ميثم بالتمار لأنه كان يبيع التمر في دكان بالكوفة، وكان الإمام علي إذا خرج إلى المسجد يجلس إلى ميثم في دكانه..

ولما ولي إبن زياد الكوفة من قبل معاوية بعد مقتل علي وموت الحسن ، دخل عليه ميثم في شكاية مع آخرين، وتحدث بلسانهم أمامه..

فسأل عنه إبن زياد ، فقالوا له هذا الكذاب مولى الكذاب (علي)..

فرد ميثم قائلاً : بل أنا الصادق مولى الصادق..

فقال إبن زياد : تبرأ منه ولتذكرن مساوئه وتتولى عثمان وتذكر محاسنه أو لأقطعن يديك ورجليك وأصلبنك..

فلما سمع ميثم هذا القول بكى..

قال إبن زياد : ما يبكيك؟

فقال : والله ما بكيت من القول دون الفعل، ولكن بكيت من شك كان دخلني يوم أخبرني مولاي علي ..

قال إبن زياد : وما قال لك مولاك؟

فقال : قال لي لتقطعن يديك ورجليك ولسانك ولتصلبن، فقلت : ومن يفعل بي ذلك؟ فقال لي مولاي علي : يأخذك العتل الزنيم من الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد..

فقال إبن زياد في غيظ وغضب : والله لأقطعن يديك ورجليك ولأدعن لسانك حتى أكذبك وأكذب مولاك..

فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ، ثم صلب على جذع نخلة..

فلما وقع على الخشبة صاح بأعلى صوته : أيها الناس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن علي بن أبي طالب قبل أن أقتل فليأتي..

فكان يحدث الناس بفضائل أهل البيت وهو بين يدي الموت..

وكثر الناس من حوله ، وبلغ الأمر إبن زياد فخشى أن يغير قلوب أهل الكوفة على معاوية ويخرجون عليه ، فأمر بقطع لسانه..

فلما أتوا لقطع لسانه قالوا له : أخرج لسانك فقد أمرنا الأمير بقطعه..

فقال ميثم : ألا زعم إبن الفاجرة أن يكذبني ويكذب مولاي أمير المؤمنين علي، هاكم لساني فاقطعوه..

وقطع لسان ميثم..

وصدقت نبوءة علي فيه..

وكان أول مصلوب في تأريخ المسلمين..

سعيد بن الجبير

الراهب والسفاح

يعد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الشهير بسعيد بن الجبير المولى من أعلام التابعين ، سكن الكوفة وأخذ العلم عن إبن عباس وغيره من الصحابة..

شهد له له معاصروه بالتقوى والورع والفقه بالقرآن والرواية وسائر الأحكام ..

وقد عاصر سعيد الحجاج واكتوى بناره ، وأعلن غضبه عليه وعلى الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقبض عليه الحجاج وقتله بتهمة التعاون مع حركة عبد الرحمن بن الأشعث..

وكان سعيد قد فر من وجه الحجاج إلى مكة واختبأ فيها ، فوشى به الواشون فقبض عليه حاكمها خالد بن عبد الله القسري وبعث به إلى الحجاج في الكوفة..

وروى إبن خلكان في وفيات الأعيان : أن سعيد لما مثل بين يدي الحجاج قال له : ياشقي بن كثير والله لأقتلنك..

وأمر الحرس بضرب عنقه ، فقتل في شعبان سنة خمس وتسعين ، وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة بواسط، ودفن بظاهرها ، وقبره يزار بها..

قال إبن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن الجبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه..

وقال الحسن البصري : أللهم إبعث على فاسق ثقيف - الحجاج - والله لو أن من بين المشرق والمغرب إشتركوا في قتله لكبهم الله عز وجل في النار..

ولم يعش الحجاج بعد سعيد سوى أشهر قليلة ، ولم يقتلأحداً بعده..

وروى أن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق وهو يقول : مالي وسعيد بن الجبير..

وإنتمى سعيد لقافلة شهداء الرأي والمعارضة لحكم بني أمية ، وهم أكثر من أن يحصوا ، وقد تدفقت دماؤهم بغزارة لتشكل إدانة فاضحة لمعاوية وبني أمية الذي وضعوا أساس صرح الإستبداد والقهر ومحاكم التفتيش في تأريخ المسلمين..

غيـلان الــدمـشقــي

نادى بالقدر وراح ضحيته..

يمثل غيلام بن مسلم الدمشقي ما أطلق عليه الفقهاء تيار القدرية وهو تيار حكم عليه بالكفر والضلال من قبلهم..

ويتداول الفقهاء العديد من الروايات التي يتحصنون بها في مواجهة القدرية ، والتي تشكل عندهم المبرر الشرعي لتكفيرهم وإستباحة دمائهم..

منها رواية أبو داود : القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم..

ورواية الترمذي : صنفان من بني آدم ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية..

ورواية أحمد والحاكم : لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم..

وليس هنا مجال التعليق على هذه الروايات التي تفوح منها رائحة الإختلاق، ويكفي إعتراف الفقهاء أنفسهم بضعفها..

إلا أن ما يعنينا هنا هو أن هذه الروايات كان لها دورها في الماضي ، وإستند عليها في في تصفية تيار معين وإستباحة دماء أصحابه..

أما ما ينسب لهذا التيار فهو أن كل واحد يخلق فعله ، ويترتب على هذا التصور نفي القدرة عن الله سبحانه ، وإخراج أفعال المخلوق من دائرة قدرته،حسبما ينسب الفقهاء إليهم، الذين يؤكدون أن القدرية ينفون القدر، ويشبهونهم بالمجوس الذين إعتقدوا بوجود خالقين..

وعلى ما هو ظاهر أن هذا التشبيه غير صحيح ، إذ أن الفرق كبير بين من يدعي وجود خالقين ، ومن يدعي قدرة العباد على خلق أفعالهم..

ويذكر مؤرخو الفرق أمثال البعدادي في كتابه الفرق بين الفرق ، والشهرستاني في كتابه الملل والنحل ك أن باعث فكرة القدرية كان نصرانياً دخل في الإسلام..

وروىالسيوطي في تأريخ الخلفاء : أظهر غيلان القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز فاستتابه، فقال : لقد كنت ضالاً فهديتني..

فقال عمر : اللهم إن كان صادقاً وإلا فاصلبه واقطع يديه ورجليه، فنفذت فيه دعوته ، فأخذ في خلافة هشام بن عبد الملك وقطعت أربعته وصلب بدمشق..

وقيل أفتى الأوزاعي بقتله..

وقال الشهرستاني : كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد ، وأن الإمامة تصلح في غير قريش، ولا تثبت إلا بإجماع الأمة..

ومن خلال التأمل في فكر القدرية نخرج بأن المسألة في حدود الرأي الذي لم يحتمله الفقهاء ، إلا أن رواية الشهرستاني تعطينا بعداً آخر ينقلنا إلى جانب السياسة ، وهو قول غيلان برفض فكرة قرشية الحاكم وهو ما يمثل تحدياً لخلفاء بني أمية، وإنكاراً للروايات التي توجب أن يكون الحاكم قرشياً، بالإضافة إلى تبنيه فكرة الإجماع على الحاكم التي تقود للشك في شرعية الخلفاء..

الـجهم بـن صفـوان

عدو الفقهاء..

برز الجهم بن صفوان في نهاية الحكم الأموي ، ونادى بفكرة الجبر والقدر وعمل على إشاعتها في العراق وخرسان..

ووجه الجهم بحملة عداء شديدو من قبل الفقهاء ، وتحولت كلمة جهمية إلى كلمة مرادفة لكلمة كفر..

يقول الشهرستاني في الملل والنحل : الجهمية أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سالم بن أحوز المارني بمرو في آخر ملك بني أمية..

ويتبنى جهم فكرة التأويل فيما يتعلق بصفات الله تعالى، ورفض التشبيه والتجسيم ورؤية الله يوم القيامة التي تقول بها الروايات، وهو بموقفه هذا يلتقي مع الشيعة والمعتزلة..

إلا أن الفقهاء الذين إعتادوا على قلب الحقائق ومنحوا أنفسهم سلطة التفتيش في عقائد الآخرين – نسبوا إلى الجهم الكثير من العقائد التي تدخله في دائرة الزنادقة وتبيح دمه..

وقد نسب للجهم نفي صفات الله ، وأن الجنة والنار تفنيان ، وأن من عرف الله ولم ينطق بالإيمان لم يكفرلأن العلم لا يزول بالصمت..

ولعل تبني الجهم فكرة الخروج على الحاكم الجائر التي نادى بها الخوارج كانت السبب المباشر الذي أدى لمقتله، إذ أن سيرته تؤكد أنه كان قريباً من البلاط الأموي ، ولكن وقعت النقمة عليه لتجاوزه الحد وإنتقاله من الدعوة لفكرة الجبر التي تخدم الحكام وتبرر إنحرافاتهم ومظالمهم إلى الدعوة للخروج عليهم..

وروى أن عطاء بن يسار وهو أحد قضاة بني أمية كان يتبنى إتجاه معبد الجهني الذي يقول بالإختيار..

وسال الحسن البصري : يا أبا سعيد إن هؤلاء الحكام يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما تجري أعمالنا على قضاء الله وقدره..

فقال الحسن : كذب أعداء الله..

ومرقديم كان الفقهاء يسمون كل من نفى الصفات وقال: إن القرآن مخلوق، وا ن الله لا يرى في الآخرة جهمياً ..
وتبنى الحنابلة موقفاً عدائياً شديداً من الجهمية، ورثه عنهم فقهاء الوهابية المعاصرين الذين أصبحوا يطلقون لفظ جهمي على كل من يخالفهم من المسلمين..

الـجعـد بـن درهم

أضحية العيد ..

هو الجعد بن درهم مولى بني الحكم أستاذ الجهم ، وكان يسكن الشام وعلى صلة وثيقة بالبيت الأموي ، وقد تولى تربية أبناء بعض الخلفاء ، ومنه أخذ الجهم فكرة الجبر..

وكان قد قبض على الجعد بن درهم أستاذ الجهم وحكم بقتله ونفذ الحكم في عيد الأضحى..

والجعد بن درهم هو مؤدب مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين..

جاء في الوافي بالوفيات والعديد من المصادر : الجعد بن درهم، مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال له مروان الجعدي،كان الجعد أول من تفوه أن الله لا يتكلم، وقد هرب من الشام ،يقال إن الجهم بن صفوان أخذ عنه مقالة خلق القرآن ،وأصله من حران..

روى أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس يوم الأضحى بواسط وقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله منكم ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهمإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ، ثم نزل وذبحه، وهي قصة مشهورة ، وذلك في حدود سنة عشرين ومائة..

ولي خالد بن عبد الله العراق ولاه هشام بن عبد الملك ثم عزله في سنة ١٢٥هـ قال وقتل سنة ١٣٦هـ وهو ابن نحو ستين..

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت يحيى بن معين قال خالد بن عبد الله القسري كان واليا لبني أمية وكان رجل سوء، وكان يقع في علي بن أبي طالب ولي خالد القسري أضعف الصاع وله في كتاب خلق أفعال العباد للبخاري قصة قتله الجعد بن درهم..

وقال الذهبي في ميزان الإعتدال : الجعد بن درهم عداده في التابعين ،مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى ،فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر ،والقصة مشهورة..

إبـن الـمـقـفـع
شهيد الترجمات..

أسلم عبد الله بن المقفع في أوائل العصر العباسي على يد عيسى بن علي عم الخليفة المنصور ، وكان على دين المجوس..
روى إبن خلكان قول الجاحظ فيه : إن إبن المقفع ومطيع بن إياس ويحي بن زياد كانوا يتهمون في دينهم..
وكان المهدي بن المنصور يقول : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله إبن المقفع..
وقال الأصمعي : صنف إبن المقفع المصنفات الحسان منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف في فنها مثلها..
وإبن المقفع هو الذي قام بترجمة كتاب كليلة ودمنة إلى العربية ، وله شعر مذكور في كتاب الحماسة..
وقد إختلفت الروايات في سبب قتله ..
قيل قتل بتهمة الزندقة..
وقيل قتل بسبب تهجمه على والي البصرة..
وقيل قتل بسبب تهجمه على المنصور..
وذكر شمس الدين أبو المظفر في تأريخه مرآة الزمان الكثير من أخبار إبن المقفع وما جرى له ، وقتله في سنة خمسين وأربعين ومائة..
ويبد لنا من خلال حادثة إبن المقفع وغيره أن تهمة الزندقة كانت التهمة السائدة التي تبرر للفقهاء ةالحكام إراقة دماء أصحاب الرأي..
وما جاء على لسان المهدي – قبل توليه الخلافة– : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله إبن المقفع ،إنما يؤكد أن إبن المقفع كان صاحب الدور البارز في عالم الترجمات ، بما تحمل هذه الترجمات من آراء وأفكار تمثل إستفزازاً وتحدياً للفقهاء و الحكام ،و لعل هذا الدور هو الذي قاده إلى الموت..

بـشـار بـن بـرد

قتله شعرة..

ينسب بشار بن برد بن يرجوخ إلى الموالي ، وهو مولى قبيلة بني عقيل بن كعب ، وأصله من طخارستان من سبي المهلب ، بن أبي صفرة سكن البصرة ونبغ في الشعر والرواية عن الشعراء..

ترجم له الأصفهاني في الأغاني ترجمة طويلة ، وكذلك الخطيب في تأريخ بغداد..

من شعره :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصاحة حازم

ولا تجعل للشورى عليك غضاضة فريش الخوافي تابع للقوادم

وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وله أيضاً :

ياقوم إذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كان

روى عنه إبن خلكان : كان يمدح المهدي العباسي ورمى عنده بالزندقة، فأمر بضربه ، فضرب سبعين سوطاً ، فمات من ذلك بالبطيحة قرب البصرة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة ودفن بها، وذلك سنة سبع ، وقيل ثمان وستين ومائة ، وقد نيف على التسعين سنة..

وروى الطبري في تأريخه : كان سبب قتل المهدي لبشار أن المهدي ولى صالح بن داود، أخا يعقوب بن داود وزير المهدي ولاية ، فهجاه بشار بقوله ليعقوب :

هم حملوا فوق المنابر صالحا أخاك فضجت من أخيك المنابر

فبلغ يعقوب هجاؤه ، فدخل على المهدي وقال له : إن بشاراً هجاك..

قال : ويلك ماذا قال؟

قال : يعفيني أمير المؤمنين من إنشاد ذلك..

قال المهدي : لابد..

فأنشده :

خليفة يزني بعماته يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الخيزران

فطلبه المهدي ، فخاف يعقوب أن يدخل عليه فيمدحه فيعفو عنه ، فوجه إليه من ألقاه في البطيحة..

وروى إبن العماد في شذرات الذهب حوادث عام ١٦٧ه : وفيها قتل في الزندقة بشار بن برد البصري الأعمى المشهور، كان يمح المهدي فرمى عنده بالزندقة، فضربه حتى مات..

ومن سوء حظ بشار بن برد أنه وجد في عصر المهدي المتعصب ضد المسلمين وغير المسلمين ، والذي أعمل سيفه في أصحاب الرأي والتيارات الأخرى بتهمة الزندقة..

روى السيوطي في تأريخ الخلفاء عن حوادث عام ١٦٦ه : وفيها جد المهدي في تتبع الزنادقة وإبادتهم ، والبخث عنهم في الآفاق ، والقتل على التهمة..

صالح بن عبد القدوس

قتيل الخليفة المهدي..

هو صالح بن عبد القدوس البصري من الموالي وهو مولى الأزد ، لقي حتفه على يد المهدي العباسي بسبب بيتين من الشعر نسبا إليه..

جاء في معجم الأدباء : صالح بن عبد القدوس الشاعر الحكيم ، إتهمه المهدي بالزندقة ، وضربه بالسيف فشطره شطرين وصلبه عدة أيام ثم دفن..

وقال عنه إبن خلكان : ابو الفضل صالح بن عبد القدوس البصري مولى الأزد، أحد الشعراء ، إتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله فأحضر فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وبراعته وحسن بيانه ، فأمر بتخلية سبيله ، فلما ولى رده وقال : ألست القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمد

إذا إرعوى عاد إلى جهله كذي العنني عاد إلى نكسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين..

قال : فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك..

ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر..

ومن شعره :

المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق

وزن الكلام إذا نطقت فإنما يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

وقد عرف إبن عبد القدوس بالحكمة ، وكان يجلس في مسجد البصرة يقص على الناس ، وله مناظرات مع المتكلمين،

ويتسم شعره بالأمثال والحكم، وله الكثير من الترجمات في تأريخ بغداد لإبن الخطيب وتأريخ دمشق لإبن عساكروميزان الإعتدال للذهبي..

وكان قتله سنة سبع وستين ومائة..

الـعكـوك

أخرجوا لسانه من قفاه..

كان أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم الأعمى المعروف بالعكوك من الموالي..

ويعد العكوك من مشاهير الشعراء..

روى إبن خلكان على لسانالجاحظ قوله : كان أحسن خلق الله إنشاداً ، ما رأيت مثله بدوياً ولا حضرياً ..

وروى إبنالمعتز في طبقات الشعراء : أن الخليفة المأمون بلغه خبر قصيدة قالها العكوك وأغضبته غضباً شديداً، فطلبه فهرب، فكتبوا لإلى الآفاق يؤخذ حيث كان..

ولما ظفروا به حملوه مقيداً إلى المأمون ، فلما صار بين يديه قال له : ما أستحل دمك بكلمتك هذه ، ولكني أستحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم ، وجعلت معه مالكاً قادراً :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال

وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك الله يفعله، وأمر بإخراج لسانه من قفاه، فأخرجوا لسانه من قفاه فمات..

وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد..

ورثاه أبو العتاهية بقوله :

أبا غانم أما دارك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم

وما ينفع المقبورعمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم

أحمد الخزاعي

صلب ست سنوات..

ترك الخليفة المأمون نهج آبائه ومال لتيار المعتزلة وعادى الفقهاء،وتبنى شقيقه المعتصم من بعده نفس الموقف..

وسار الخليفة الواثق على نهجهما وتمسك بفكرة خلق القرآن التي يقول بها المعتزلة وأكره الفقهاء عليها..

وفي عام ٢٣١ه أصدر أمره إلى والي البصرة أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، فعم الكرب والبلاء على الفقهاء..

روى السيوطي في تأريخ الخلفاء : وفي هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعي ، وكان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف ولنهي عن المنكر، أحضره من بغداد إلى سامراء مقيداً وسأله عن القرآن فقال : ليس بمخلوق ، وعن رؤية الله يوم القيامة فقال : كذا جاءت الروايات وروى له الحديث..

فقال الواثق : تكذب ، فرد الخزاعي بل تكذب أنت..

فقال الواثق : ويحك يرى كما يرى المحدود والمتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر ، إنما كفرت برب هذه صفته، ما تقولون فيه ؟

فقال فقهاء المعتزلة : هو حلال الضرب ، فدعا بالسيف ومشى إليه فضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغدادفصلب بها، وصلب جسده في سامراء ، وإستمر على ذلك ست سنين إلى أن جاء المتوكل فأنزله ودفنه..

وروى إبن العماد عن أحداث عام ٢٣١ه : وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد ، كان من أولاد الأمراء فنشأ في علم وصلاح ، وكتب عن مالك وجماعة ، قتله الواثق بيده لإمتناعه عن القول بخلق القرآن ، ولكونه أغلظ للواثق في الخطاب، وكان رأساً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

وهذا من جملة مفاسد الحكام ، والرأي إنما يسود بالحجة والبرهان ، وما كان للمعتزلة الذين عانوا من الحكام وتعصب الفقهاء أن يعينوا الواثق على إرتكاب مثل هذا الجرم..

وقد دارت الدائرة على المعتزلة حين ولى المتوكل بعد الواثق وإنحاز لخصومهم من الحنابلة..

إبـن الـسكيـت

شهيد أهل البيت..

تبنى المتوكل العباسي مذهب الحنابلة ونصرهم على خصومهم ، وأطلق أيديهم فبطشوا بالمخالفين وأصحاب الرأي..

ودعوا له على المنابر وتغاضوا عن جرائمة وإعتبروه من الراشدين..

وتبنىأيضاً نهج الخصومة لعلي إبن أبي طالب وأهل البيت..

وكان زمانه زمن المحدثين من أهل الرواية ، أو من أطلق عليهم أهل الحديث، كبت فيه أصحاب الرأي ، وتفرقوا في البلاد ما بين شريد وطريد، فكانت فترته من أسوأ الفتراتظلماً وإستبداداً ..

وفي ظل هذا الواقع برز إبن السكيت..

قال فيه إبن العماد في أخبار عام ٢٤١ه : إبن السكيت النحوي صاحب كتاب إصلاح المنطق وتفسير دواوين الشعراء وغير ذلك سبق أقرانه في الأدب مع حظ وافر في السنن والدين..

ولإبن السكيت الكثير من المصنفات منها : كتاب الألفاظ وكتاب الأمثال وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب النوادر وكتاب سرقات الشعراء وغيرها كثير..

نقل إبن خلكان عن ثعلبة قوله : أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد إبن الأعرابي أعلم باللغة من إبن السكيت..

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ولابن السكيت شعر جيد..

ويروى أن المتوكل نظر إلى إبنيه المعتز والمؤيد، فقال لإبن السكيت: من أحب إليك: هما، أوالحسن والحسين ؟

فقال: بل قنبر– خادم الإمام علي– أي أفضل من إبنيك، فأمر الاتراك، فداسوا بطنه، فمات بعد يوم في رجب من عام ٢٤٤هـ..

وقيل: حمل ميتا في بساط..

فِي وِالَكَاُثَ وَ كَّلِ نَصْبٌ –أي عداء لأهل البيتْأَلُ اللهَ العَفْوَ ..

وكان إبن السكيت من المغالين في حب أهل البيت..

وفي رواية كان رد إبن السكيت أشدتطرفاً حيث قال : والله إن قنبر خير منك ومن إبنيك..

الـنسـائـي

ضحية معاوية..

هو أحمد بن علي بن شعيب النسائي نسبة لبلدة نسا بخراسان ، من مشاهير المحدثين، صاحب كتاب سنن النسائي ، سكن مصر لفترة وإشتهر بها ، وخرج إلى دمشق فسئل عن معاوية وماروى من فضائله فقال : ما أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله له بطنا، وهى رواية في مسلم تذم معاوية، فاعتدى عليه أنصار معاوية بالضرب وداسوه وأخرجوه من المسجد، فمازالوا يطعنوه في خصيته حتى مات بعدها..

وكان قد صنف كتاب خصائص الإمام علي ، فقيل له : ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة؟

فقال : دخلت دمشق والمنحرف عن علي كثير ، فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب..

قال إبن العماد في حوادث عام ٣٠٣ه : وفيها توفي الإمام أحد الأعلام صاحب المصنفات التي منها السنن أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي وله ثمان وثمانون سنة ، خرج حاجاً فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة..

قال الذهبي في طبقات الحفاظ : هو أحفظ من مسلم، له من المصنفات السنن الكبرى والصغرى ، وهى إحدى الكتب الستة ، وخصائص علي ومسند علي ومسند مالك، ولد سنة خمس وعشرين ومائتين..

وكان الإتجاه الغالب فيما يتعلق بجمع وتدوين الروايات هو الإتجاه المناصر لخط معاوية ، وهو الخط المعادي للإمام علي وأهل البيت ، فمن ثم إعتبر النسائي شاذاً لإهتمامه بالإمام علي والروايات المتعلقة به..

وموقف النسائي هذا يمثل أكبر إدانة لعصر الروايات، ويكشف لنا تأثير السياسة وبصمتها في عالم الرواية..

ويكشف لنا أيضاً شجاعته في الرأي وصلابته في التمسك به وبرهنته على صحته ، إلا أنه جهر به في عصر كان يسوده الإنغلاق والجمود والتعصب، فكانت النتيجة أن سقط شهيداً على يد العامة ومحرضيهم من الفقهاء..

الـحلاج

تأليه وتكفير..

إتفق المؤرخون على أن الحسين بن منصور الحلاج زاهد مشهور كان يظهر التصوف والكرامات ، وهو فارسي الأصل نشأ في العراق..

ونقلوا إختلاف الناس فيه بين معظم له ومكفر..

قال إبن الأثير في الكامل : إختلفوا فيه إختلاف النصارى في المسيح ، فمن قائل إنه حل فيه جزء إلهي، ويدعي فيه الربوبية، ومن قائل إنه ولي الله تعالى ، وأن الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين..

ومن قائل إنه شاعر كذاب ومتكهن والجن تطيعه..

وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر ، فأفتى بحل دمه، وكتب خطه بذلك، وكتب معه من حضر من الفقهاء، وحمل الحلاج إلى السجن..

وكتب الوزير للمقتدى يخبره بما جرى في المجلس، وجاء جواب المقتدر بتسليمه لصاحب الشرطة..

وأخرج الحجاج عند باب الطاق وإجتمع من العامة خلق كثير ،وضربه الجلاد ألف سوط ولم يتأوه، ثم قطع أطراف أصابعه، ثم حز رأسه وأحرق جثته، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة، ونصب الرأس ببغداد على الجسر..

قال إبن خلكان : إطلعت على كتاب الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين الجويني ووجدت فيه أنه ذكر عن الحلاج أنه تحالف مع قوم لقلب الدولة وإفساد المملكة ، وإستعطاف القلوب وإستمالتها، وقد أنكر إبن خلكان هذا الإدعاء..

ولعل الأبيات التي نسبت إليه وهو مصلوب تؤكد كلام الجويني :

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقر

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا

وقد أفرد أبو الفرج بن الجوزي أخباره في تصنيف سماه القاطع لمحال المحاج بحال الحلاج، قتل في هذه السنة ببغداد، وأفتى الفقهاء والعلماء بكفره..

وقد اعتذر أبو حامد الغزالي عنه في كتاب مشكاة الأنوار وأول أقواله على محامل حسنة..

قَالَ ابن خلّكان : أفتى أكثر علماء عصره بإباحة دمه..

الـشـلـمـغـانـي

تشيع وتناسخ وحلول وربوبية..

روى إبن الأثير في الكامل حوادث سنة إثنين وعشرين وثلاثة : وفيها قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني ، وشلمغان قرية بنواحي واسط، بسبب أنه قد أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ والحلول ، وظهر عنه ببغداد أنه يدعي الربوبية ، فلما كان في شوال قبض عليه الوزير إبن مقلة ، وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً مما يدعى عليه أنها مذهبه، فأنكر مذهبه وأظهر الإسلام وتبرأ مما يقال فيه، وفي آخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحة دمه فصلب..

وهو ما رواه إبن العماد أيضاً في حوادث عام ٣٢٢ه، غير أنه قال إنه أحرق في ذي القعدة..

وقد ضبط مع الشلمغاني إبراهيم بن أبي عون وأحمد بن محمد بن عيدوس وإبن شبيب الزيات والحسين بن القاسم بن وهب ، وكانت الكتب التي تم ضبطها في بيت الشلمغاني بخطوطهم، وقد أعدم إبن عون مع الشلمغاني ، بينما قبض على الحسين بن قاسم بالرقة وأرسل إلى الخليفة الراضي الذي أمر بقتله في آخر ذي القعدة..

ويظهر لنا من هاتين الروايتين أن الحال لم يتغير في مواجهة أصحاب الرأي من أيام الأمويين والعباسيين، والذي تغير هو الأسلوب والطريقة ، أما تهمة المروق والزندقة فهى ثابتة لا تتغير..

وفي دولة السعوديين اليوم يواجه أصحاب الرأي نفس مصير الشلمغاني وغيره ، فآل سعود لازالوا يقتدون بسلفهم من الأمويين والعباسيين ، متمسكين بسنة ضرب الرقاب بالسيف الذي جعلوه شعارهم، ووضعوا تحته الشهادتين ، وكأنهم بهذا يؤكدون أن الإسلام دين السيف والإرهاب..

وجاء في النجوم الزاهرة حوادث العام السابق : وفيها توفي إبراهيم بن عبد الله بن حصن، أبو إسحاق الغافقي محتسب دمشق من قبل الحاكم، وكان شهماً في الحسبة، أدب رجلاً، فلما ضربه درة، قال المضروب: هذه في قفا أبي بكرة فلما ضربه أخرى قال: هذه في قفا عمر، فضربه أخرى فقال: هذه في قفا عثمان، ثم ضربه أخرى فسكت. فقال له الغافقي: أنت ما تعرف ترتيب الصحابة، أنا أعرفك، وأفضلهم أهل بدر، لأصفعنك على عددهم فصفعه ثلاثمائة وست عشرة درة، فحمل من بين يديه فمات بعد أيام... قلت: إلى سقر..

عمـارة الـيـمـنـي

محاولة قلب نظام الحكم..

روى إبن خلكان : كان عمارة فقيهاً شافعياً شديد التعصب لأهل السنةأديباً ماهراً شاعراً مجيداً ممتعاً ، فأحسن الصالح بن زريك الوزير الفاطمي إليه كل الإحسان وصحبه مع إختلاف العقيدة ، وله في الصالح وولده مدائح كثيرة، وزالت دولة المصريين - الفاطميين- على يد صلاح الدين وهو في البلاد..

ثم إنه شرع في أمور وأسباب ، من الإتفاق مع جماعة من رؤساء البلد على التعصب للفاطميين وإعادة دولتهم، فأحس به صلاح الدين ، وكانوا ثمانية من الأعيان ، ومن جملتهم الفقيه عمارة، ، وتم شنقهم يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة، وعمارة له تواليف منه أخبار الزمان والنكت العصرية في أخبار الدولة المصرية..

وقال العماد الأصبهاني في الخريدة : أنه صلب في جملة الجماعة الذين نسب إليهم التدبير على صلاح الدين ومكاتبة الإفرنج وإستدعاؤهم خنى يجلسوا ولد العاضد - آخر الخلفاء الفاطميين- فأغتى الفقهاء بمصر بقتله..

وكذلك روى إبن العماد في شذرات الذهب وإبن تغري بردي في النجوم الزاهرة في حوادث عام ٥٦٩ه..

وما نميل إليه هنا بشأن عمارة هو أن دور صلاح الدين في مصر وتآمره لإسقاط الحكم الفاطمي وبطشه بالمصريين ، وإصداره لقرار ينص على أن من إعتقد بغير عقيدة الأشعري وتمذهب بغير مذهب الشافعي حل دمه ، كل ذلك يدفع بنا للحكم أن عمارة سقط شهيداً ضحية السياسة ، وليس ضحية الدين، وذلك لمواجهته الإستبداد ،ومخالفته لنهج فرض بالقوة..

ولعمارة الكثير من الأشعار التي قالها في مدح الفاطميين ، وأيضاً في مدح صلاح الدين، مما يلقي بظلال الشك على الدوافع التي أدت لقتله وأصحابه..

قال ابن كثير في البداية والنهاية: مقتل عمارة بن أبي الحسن ابن زيدان الحكمي من قحطان، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني الفقيه الشاعر الشافعي، وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤس الدولة الفاطمية الذين كانوا فيها حكاما فاتفقوا بينهم أن يردوا الدولة الفاطمية، فكتبوا إلى الفرنج يستدعونهم إليهم، وعينوا خليفة من الفاطميين، ووزيرا وأمراء وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك، ثم اتفق مجيئه فحرض عمارة اليمني شمس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن ليضعف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج، إذا قدموا لنصرة الفاطميين، فخرج توران شاه ولم يخرج معه عمارة، بل أقام بالقاهرة يفيض في هذا الحديث، ويداخل المتكلمين فيه ويصافيهم، وكان من اكابر الدعاة إليه والمحرضين عليه، وقد أدخلوا معهم

فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين، وذلك من قلة عقولهم وتعجيل دمارهم، فخانهم أحوج ماكانوا إليه وهو الشيخ زين الدين علي بن نجا الواعظ، فإنه أخبر السلطان بما تمالؤا وتعاقدوا عليه، فأطلق له السلطان أموال جزيلة، وأفاض عليه حللا جميلة، ثم استدعاهم السلطان واحدا واحدا فقررهم فأقروا بذلك، فاعتقلهم ثم استفتى الفقهاء في أمرهم فأفتوه بقتلهم، ثم عند ذلك أمر بقتل رؤسهم وأعيانهم، دون أتباعهم وغلمانهم، وأمر بنفي من بقي من جيش العبيد ؟ ن إلى أقصى البلاد، وأفرد ذرية العاضد وأهل بيته في دار، فلا يصل إليه إصلاح ولا إفساد، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الارزاق والثياب، وكان عمارة معاديا للقاضي الفاضل، فلما حضر عمارة بين يدي السلطان قام القاضي الفاضل إلى السلطان ليشفع فيه عنده فتوهم عمارة أنه يتكلم فيه، فقال: يا مولانا السلطان لا تسمع منه، فغضب الفاضل وخرج من القصر، فقال له السلطان: إنه إنما كان يشفع فيك، فندم ندما عظيما.

وعمارة اليمني الشاعر وكان عمارة شاعراً مطيقاً بليغاً فصيحاً ، لا يلحق شأوه في هذا الشأن، وله ديوان شعر مشهور وقد ذكرته في طبقات الشافعية لانه كان يشتغل بمذهب الشافعي، وله مصنف في الفرائض، وكتاب الوزراء الفاطميين، وكتاب جمع سيرة نفيسة التي كان يعتقدها عوام مصر، وقد كان أديبا فاضلا فقيها، غير أنه كان ينسب إلى موالاة الفاطميين، وله فيهم وفي وزرائهم وأمرائهم مدائح كثيرة جدا وأقل ما كان ينسب إلى الرفض، وقد اتهم بالزندقة والكفر المحض، وذكر العماد في الخريدة أنه قال في قصيدته التي يقول في أولها: العلم مذ كان محتاج إلى العلم * وشفرة السيف تستغني عن القلم ،وهي طويلة جدا، فيها كفر وزندقة كثيرة.

قال وفيها: قد كان أول هذا الدين من رجل * سعى إلى أن دعوه سيد الامم قال العماد فأفتى أهل العلم من أهل مصر بقتله، وحرضوا السلطان على المثلة به وبمثله، قال ويجوز أن يكون هذا البيت معمولا عليه والله أعلم.

وقد أورد ابن الساعي شيئاً من رقيق شعره..

ولما صلب الملك الناصر هؤلاء يوم السبت الثاني من شهر رمضان من هذه السنة بين القصرين من القاهرة، كتب إلى الملك نور الدين يعلمه بما وقع منهم وبهم من الخزي والنكال، قال العماد: فوصل الكتاب بذلك يوم توفي الملك نور الدين، وكذلك قتل صلاح الدين رجلاً من أهل الاسكندرية يقال له قديد القفاجي، كان قد فتن به الناس، وجعلوا له جزءا من أكسابهم، حتى النساء من أموالهن، فأحيط به فأراد القفاجي الخلاص ولات حين مناص، فقتل أسوة فيمن سلف..

، ومما وجد من شعر عمارة يرثي العاضد ودولته وأيامه:

أسفي على زمان الامام العاضد * أسف العقيم على فراق الواحد
لهفي على حجرات قصرك إذ خلت * يا بن النبي من ازدحام الوافد
وعلى انفرادك من عساكرك التي * كانوا كأمواج الخضم الراكد
قلدت مؤتمن أمرهم فكبا * وقصر عن صلاح الفاسد

الـطرطوشي

جاء في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطه وفي تأريخ الإسلام للذهبي عن الطرطوشيعلي ّ بن صالح بن أبي اللّيث َ أبُو ح َس َن ب ْن عز ّ النّاس العَب ْد َري ّ ، الدّاني ّ ، الطّر ْطُوشي ّ ..

قَالَالأَب ّار : وكان فقيهاً ن َ ا ،عالماًبالأُصول والفروع، دقيق النّظر، جي ّد الإستنباطفصيحا لَس ِن ًا. وكان رأس الفتوى بدانية. وله مصنَّفات..

و َ قُت ِل َ مظلوما بدانية سنة ستٍّ وست ّين وخمسمائة..

مُوقتل َمَّد ب ْن:عُتِّ ِلدَ لسعلية ٍ اللحِّ لقَطْان م ُح َمَّد ب ْن سعد سنة سب ْعٍ وست ّين، وو ُ ل ِد سنة ثمان ٍ وخمسمائة بطرطُوشة..

إبـن قـرايـا

روى إبن الجوزى في المنتظم في تاريخ الملوك والامم حوادثسنة أربع وسبعين وخمسمائة:وفي ليلةالجمعة رابع عشرين رمضان كبس بالكرخ على رجل يقال له ابو السعادات ابن قرايا كان ينشد على الدكاكين..

ويقال انه كان يذكر على العوني وغيره من الرفض فوجدوا عنده كتباً كثيرة فيها سب الصحابة وتلقيفهم ،فأخذ فقطع لسانه بكرة الجمعة وقطعت يده ،ثم حط الى الشط ليحمل إلى المارستان فضربه العوام بالآجر في الطريق فهرب الى الشط فجعل يسبح وهم يضربونه حتى مات ثم أخرجوه وأحرقوه ثم رمي باقيه الى الماء فطفا بعد أيام..

فقالت العامة ما رضيته السمك..

وقالت العامة فيه الشعر الكثير المسمى بكان وكان..

فقال بعضهم ... زورو الشبيك وخلوا ... سرداب سامرا ... السنة خل المشبه حامض ... وقعت فيه هراك ...

ما رأيتم ابن قرايا رأيا ظهر فيه معجزة ان ردت بل وتقدم هذا عقوبة ذاك..

ثم ربع جماعة من الروافض فجعلوا يحرقوا كتبا عندهم من غير أن يطلع عليها مخافة ان ينمعليهم وخمدت جمرتهم بمرة وصاروا أذل من اليهود..

الـسهـروردي

إختار الموت جوعاً ..

هو أبو الفتوح يحي بن حبش بن أهيرك المعروف بال بشهاب الدين السهروردي ، كان من مشاهير علماء عصره في الحكمة والفاسفة وله شعر مشهور..

وللسهروردي كثير من المصنفات منها : كتاب التنقيحات أو التحقيقات في أصول الفقه وكتاب التلويحات وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الإشراق ، وله رسالة تسمى الغربة القريبة على مثال رسالة الطير لإبن سينا وحي بني يقظان ، أي أن مدارها النفس وما يتعلق بها في منظور الحكماء..

روى إبن العماد عن حوادث عام ٥٨٧هـ : وفيها السهروردي الفيلسوف المقتول أحد أذكياء بني آدم ، كان رأساً في معرفة علوم الأوائل ،ابرعاً في علم الكلام ، مناظراً محاججاً ، قدم حلب وإشتهر إسمه فقد له الملك الظاهر غازي إبن صلاح الدين مجلساً ، فبان فضله وبهره علمه ، فإرتبط به وإختصه..

ويبدو أن هذا الموقف من قبل الظاهر قد إستفز الفقهاء وغاروا من السهروردي فاتهموه بالزندقة والإنحلال وعملوامحضراً بكفره وسيروه إلى صلاح الدين ، وخوفوه من أن يفسد عقيدة ولده ، فبعث صلاح الدين إلى ولده الظاهر يأمره بقتل السهروردي، فخيره الظاهر فاختار أن يموت جوعاً حتى تلف ، وعاش ستاً وثلاثين سنة..

وروى إبن خلكان : كان شافعي المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت، وكان يتهم بإنحلال العقيدة والتعطيل ، ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين وإشتهر ذلك عنه ، فلما وصل إلى حلب أفتى علماؤها بإباحة قتله بسبب إعتقاده، وما ظهر لهم من سوء مذهبه، فحبسه الظاهر وخنقه بإشارة من والده ، وكان ذلك في خامس رحب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب، وكان عمره ثمان وثلاثون سنة..

وقد إختلفت الروايات حول السهروردي بين المدح والذم والتكفير والزندقة، ، وهو يعني أن ما نسب إليه محل شك وعدم ثبوت ويقين، فمن ثم فإن إراقة دمه كان المبرر لها هو أن القاضي والجلاد كان شخصاً واحداً..

نـــاصر بـــن أبـــي الـــفـضل

لم ينفعه زهده..

روى إبن حجر في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ناصر بن أبي الفضل بن إسمعيل المقرئ الصالحي إبن الهيتي..
ولد سنة ست وستين وستمائه ،ونشأجميلاً جداً وكان صوته مطرباً ،فكان يقرأ في الختم والترب ،وحفظ التنبيه ثم صحب الباجربقي علي فصار يقع منه كلمات معضلة..
وسلك سبيل التزهد ودخل إلى بغدادمع ركب العراق فيقال أنهم نقموا عليه شيئاً وهموا به فتوجه إلى ماردين ثم فر منها إلى حلب فجرى على عادته في الشطح..
فأنكر عليه كمال الدين ابن الزملكاني وهو يومئذ قاضي حلب فقبض عليه وأرسله مقيداً إلى دمشق فقامت عليه البينة بالزندقة عند القاضي شرف المالكي فأعذر إليه ،فمأبدى عذراً ، بل تشهد وصلى ركعتين وجهد بتلاوة القرآن، ثم ضربت عنقه ، وذلك في ربيع الأول سنة٧٢٦هـ..
ويقال أنه أنشد حين قدم ليقتل.
إن كان سفك دمي أقصى مرامهم ... فما غلت نظرة منهم بسفك دمي
قال ابن حبيب قلت فيه لما قتل.:
يا أيها الهيتي هيت إلى الردى ... كم تجتري بلسان خب هالك
أرسلت من حلب لجلق موثقاً ... ونقلت بعد الشافعي لمالك
وروى الذهبي في العبر سنة ست وعشرين وسبعمائة :وفيها ضربت عنق الفقيه المقرىء ناصر بن الهيتي الصالحي على الزندقة الواضحة وفرح المسلمون.. وكان من أبناء الستين، ثم ضربت عنق توما الراهب الذي أسلم من ثلاث سنين وإرتد سرا ثم أفشى ذلك عند المالكي وأحرق ولم يتكهل وهو بعلبكي..

السكاكيني

وروى إبن كثير في البداية حوادث عام ٤٠٤هـ: فِيهِ مِنَ الاثْنَيْنِ الْمَاوِيَالْعِنِشَرْقِيِّهِ لِهُ بِالْخَيُوْقِي حَسَنٌ ابْنُ الشَّيْخِ مُحَمَّد السَّكَاكِينِيظَهَّرَعَلَى مَا لَهُ مِنَ الرَّفْضِ الدَّاعَلَى الْكُفْرِ لِلْحَضِ ..

هُ عِنْدَ الْقَاضِيهِ شَرَفِ الدِّينِ الْمَالِكِيِّ بِشَهَادَاتٍ زُيِّفَتْ عَلَيْهِ فَكَفَّرَ افِضَمِينٌ جذَلِكَ تَكْفِيرُ الشَّيْخَيْنِ لَذْفُهُ أُمَّي الْمُؤْمِنِينَ ; عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ..

زوَعَمَ فَأَنَّوَجْيَلِيَ إِلَيْطَ حَمَّدٍ وَ إِنَّمَا كَانَرَسُولاً إِلَيْذَا وَكَغَيْمِنَ بَالأَفْتَوِالْقَبِيلَةَ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ ، وَ قَدْ فَعَلَ ..

دُهُ الشَّيْخُ وَمُحَمَّدٌ السَّكَاكِينِيُّ يَعْرِفُ مَذْهَبَ الرَّفِضَوِيعَاشَوِّجَكَيِّدَتْ لَهُ أَسْئِلَقِّيعَمَذْهَأَهْلِ الْجَبْرِ ..

محمد بن جمال الدين مكي العاملي

شهيد المماليك..

ينتمي محمد بن جمال الدين المكي العاملي لجبل عامل - جنوب لبنان - التي كانت مركز التشيع لأهل البيت منذ عصر عثمان بن عفان..

وكان أبو ذر الغفاري هو أول من وضع بذور التشيع في جبل عامل حين قدم إلى الشام مطروداً من المدينة بأمر عثمان، إلا أن معاوية سرعان ما طرده من الشام وأعاده لعثمان الذي نفاه إلى الربذة..

وعاصر جبل عامل الكثير من الأحداث والصراعات ، وسقط من أبنائه الكثير من الشهداء على يد الأمويين والعباسيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين والمعنيين والدروز..

ومن بين هؤلاء شهيدنا إبن مكي الذي ولد في عام ٧٣٤ه في ظل حكم دولة المماليك..

وكان عصر المماليك يموج بالصراعات المذهبية بسبب تلاعب أمراء المماليك بالمذاهب الأربعة وإستثمارها لدعم نفوذهم

وإضفاء المشروعية عليهم، كما إستثمروا سلالة بني العباس بعد سقوط دولتهم على يد التتار ، وإستقدموهم إلى مصر ونصبوهم خلفاء صوريين لنفس الغرض..

ولم يتورع فقهاء المذاهب على إصدار الفتاوى ضد المذاهب الأخرى ، وعلى رأسها مذهب الشيعة الذي كان من المذاهب البارزة بالشام في تلك الفترة..

وهو ما دفع بإبن تيمية إلى إصدار فتوى تحريضية إستباح جنود المماليك على أساسها منطقة كسروان الشيعية بجبل لبنان في عام ٧٠٥ه وكان من المشاركين في هذه المذبحة..

روى إبن كثير في البداية والنهاية :وفي ثانيه – أي المحرم من سنة خمس وسبعمائة– خرج نائب السلطنة بمن بقي من الجيوش الشامية وقد كان تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية في ثاني المحرم فساروا إلى بلاد الجرد والرفض والتيامنة فخرج نائب السلطنة الأفرم بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوهم فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقا كثيرا منهم ومن فرقتهم الضالة ووطئوا أراضي كثيرة من صنع بلادهم وعاد نائب السلطنة إلى دمشق في صحبته الشيخ ابن تيمية والجيش وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير وأبان الشيخ علما وشجاعة في هذه الغزوة وقد امتلأت قلوب اعدائه حسدا له وغما..

وقد حظى إبن مكي بمكانة عالية في عصره عند الشيعة لغزارة علمه وكثرة تصانيفه ، كما كان على صلة بالرموز والإتجاهات السنية في ميدان الفقه والرواية والكلام..

وكانت له علاقات واسعة بالملوك والحكام ، وعلى صلة وثيقة بحاكم دمشق بيدمر، وكان الناس كثيراً ما يلجئون إليه لحل مشاكلهم ، بالإضافة إلى أقطاب العلم والسياسة الذين كانوا يفدون عليه من كل صوب..

وتسببت مكانته ووضعه هذا إلى خوف حاكم دمشق منه ، وحسد الفقهاء له ، فدبرت له مكيدة من قبل بعض الفقهاء من السنة وجماعة شيعية معادية له ليتم حبسه لمدة عام ، قرر الحاكم بعدها أن يتخلص منه خوفاً من رد فعل أنصاره، فعقدت جلسة

حضرها الحاكم والقضاة وجمع من الناس ، ونشرت المحاضر والشهادات التي تتهم إبن مكي بأقاويل وإدعاءات كفرية أنكرها جميعها..

وحكم بضرب عنقه ، ثم صلب قتيلاً على مشهد من الناس، ورجم جسده بالحجارة، ثم أنزل وأحرق..

ويعلق إبن العماد على هذه الجريمة البشعة التي وقعت في عام ٧٨٦ه بقوله : وفيها قتل محمد بن مكي الرافضي ، كان عارفاً بالأصول والعربية فشهد عليه بدمشق بإنحلال العقيدة وإعتقاد مذهب النصيرية وإستحلال الخمر الصرف ، وغير ذلك من القبائح، فضربت عنقه بدمشق في جمادى الأولى ، وضربت عنق رفيقه بطرابلس، وكان على معتقده..

نسيم الدين التبريزي

روى إبن حجر في إنباءالغمر بأبناء العمر حوادث عام ٨٢٠هـ :وفيها قتل الشيخ نسيم الدين التبريزي نزيل حلب وهو شيخ الحروفية ، وأما هذا فإنه سكن حلب وكثر أتباعه وشاعت بدعته فآل أمره إلى أن أمر السلطان بقتله فضربت عنقه وسلخ جلده وصلب..

وقد وقع لبعض أتباعه كائنةفي سلطنة الأشراف وأحرقتكتابه معه فيه هذا الاعتقاد و أردت تأديبه فحلف أنه لا يعرف ما فيه وأنه وجده مع شخص فظن أن فيه شيئاً من الرقائق فأطلق، بعد أن تبرأ مما في الكتاب لمذكور تشهد و التزم أحكام الإسلام، وكان سبب وقوع ذلك أن شخصاً شريفاً قدم من الشام وذكر أنه لم يزل يسعى في الإنكار على هؤلاء إلى أن عثر بهذا وكتب له مرسوم بالقيام عليهم في بلاد الشام، ثم قدم علينا شخص من أهل أنطاكية فذكر لنا عنهمأموراً كيرة وكتب له مراسيم بالقيام عليهم وذلك في سنة ٨٤١هـ..

الكيماوي

روى إبن تغري بردي في حوادث الدهور عام ٨٥٢هـ: وفيه عقد مجلس بالعلماء والقضاة بسبب أسد الدين الكيماوي بحضرة السلطان وإدعى عليه بأمور منها أنه ينكر البعث..

فقال قاضي المالكية مذهبي يقبل توبته فانتدب إليه شخصاً من عقلاء المالكية يقال له الشمس الديسطي المالكي وقال المذهب أن زنديق..

وساعده على ذلك أبو الفضل المغربي والشيخ أحمد الأدبي وغيرهما وأوسع أبو الفضل الكلام في ذلك..

وقال أن أذن له بالكم فعل فأذن له المالكي والسلطان ونزل الجميع إلى الصالحية فلم يفعل في ذلك سنة اليوم شيء.

وفي العام التالي ضربت رقبة الكيماوي بمقتضى إنه ثبت عند الشمس محمد الديسطي المالكي زندقته ثم ألحق في الإسجال بعد إنه ثبت عنده إنه ملحد كاذب..

قلت وقتله كان من أكبر المصالح فإن سيرته عند الأعاجم قبيحة لأمور إرتكبها بتلك البلاد ،ووقع له أيضا مع ألوغ بك بن شاه رخ ما كان فيه ذهاب روحه لكن منيته لم تكن إلا بمصر..

وقد عظم قتله على خلائف من الناس ممن لا يعرف حقيقة أمره ،وزعما أن بعد قتله وقع الوباء والغلاء والشراقي وهذه الآفات، وليس كذلك وكلما تراه بقدر مقدور..

ظهير الدين الإردبيلي

جاء في الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: ظهير الدين المولى الإردبيلي الحنفي، الشهير بقاضي زاده، قرأ في بلاد العجم على علمائها، ولما دخل السلطان سليم خان إلى مدينة تبريز في قتال شاه إسماعيل الصوفي أخذه معه إلى بلاد الروم، وعين له كل يوم ثمانين درهماً..

وقال في الشقائق: كان عالماً كاملاً صاحب مجاورة، ووقار، وهيبة، وفصاحة، وكانت له معرفة بالعلوم خاصة بعلم الإنشاء والشعر، وكان يكتب الخط الحسن قتل مع الوزير أحمد باشا بمصر سنة ثلاثين وتسعمائة..

وذكر العلائي أن صاحب الترجمة إستمال أحمد باشا إلى إعتقاد إسماعيل شاه الصوفي طلباً لإستمداده به، وإستظهاره معه بمكاتبات وغيرها، وعزم على إظهار شعار الرفض، وإعتقاد الإمامية على المنابر..
حتى قال: إن مدح الصحابة على المنبر ليس بفرض، ولا يخل بالخطبة..
وذكر العلائي أيضاً أنه قبض على صاحب الترجمة يوم الخميس عشري ربيع الثاني سنة ثلاثين وتسعمائة، وقطعت رأسه، وعلقت على باب زويلة..

زين الدين الجبعي العاملي

قتيل الشبهة

ولد الجبعي في ربوع جبل عامل عام ٩١١ه في ظل دولة العثمانيين..

وتنقل في البلاد طلباً للعلم ثم عاد إلى موطنه جبع ليمارس التدريس والإفتاء والكتابة..

وأشتهر وذاع صيته في أوساط الشيعة، وصنف الكثير من الكتب ، وإعتبر قدوة الشيعة ونور الشريعة ، وأفضل المتأخرين وأكمل المتبحرين..

وفي عصره برزت حركة إنتشار التشيع في إيران على يد الصفويين الذين دخلوا في صراع مع العثمانيين، ودارت بينهما حروب، وهو ما أدى إلى زيادة الضغوط على الشيعة بالشام والتضييق عليهم..

ولاحت الفرصة لبعض الفقهاء المتربصين بالجبعي لينالوا منه ، فكان أن أرسلت العرائض وكثرت الوشايات فيه عند رستم باشا وزير السلطان ، وإتهم بالترويج للمذهب الشيعي ويدرس كتبه، ويتردد عليه فقهاء الشيعة وقادتهم، فقبض عليه وأرسله إلى الآستانة..

وجاء في كتاب أمل الآمل : وكان سبب قتله أن ترافع إليه رجلان ، فحكم لإحدهما على الآخر ، فغضب المحكوم عليه وذهب إلى قاضي صيدا ، فأرسل القاضي إلى جبع يطلبه فلم يجده ، فكتب إلى السلطان أنه وجد ببلاد الشام رجل يخالف المذاهب الأربعة ، فأرسل السلطان في طلب الجبعي ، وتم القبض عليه وأرسل للآستانة ، وفي الطريق تآمر عليه حارسه وقتله ، وحمل رأسه إلى السلطان، وكان ذلك في عام ٩٦٥ه..

وهذا الموقف من قبل قاضي صيدا لا يدل على دين ولا على تقوى ، وإنما يدل على كره وحسد، ، ويكشف لنا كيف أن الفقهاء كانوا يحتمون بالحكام ويحرضونهم على خصومهم، وهو ما يدل على إفتقادهم للخلق والحكمة..

ابـن الـحجـار الـحمـوي

قال الذهبي في العبر في خبر من غبر حوادث عام ٧٣٧هـ :وقتل فيها على الزندقة عدو الله الحموي الحجار وأحرق . أضل جماعة . قام عليه قاضي القضاة شرف الدين بحماة..

شمس الـديـن إبـن الـلـبـان

وقال إبن العماد : فيها أخذ بمصر شمس الدين بن اللبان الشافعي وشهد عليه عند الحاكم بعظائم تبيح الدم فرجع ورسم بنفيه وفيها قتل على الزندقة عدو الله الحموي الحجار بحماة وأحرق أضل جماعة وقام عليه قاضي القضاة شمس الدين..

وجاء في ذيل العبر حوادث سنة إحدى وسبعمائة : سنة إحدى وسبعمائة دخلت وسلطان الإسلام الملك الناصر نصره الله ونائبه سلار ونائبه بدمشق الأفرم ،فقتل بمصر على الزندقة الذكي المتفنن فتح الدين أحمد بن البققي..

وفي ذيل العبر حوادث سنة خمس عشرة وسبعمائة: وقتل أحمد الرو يس الأقباعى بدمشق لاستحلاله المحارم وتعرضه للنبوة وكان له كشف وإخبار عن المغيبات فضل به الجهلة وكان يقول أتانى النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنى وكان يأكل الحشيشة ويترك الصلاة..

حوادث الـرأي

تحالف الحكام والفقهاء..

تمثل حوادث الرأي في تأريخ المسلمين التطبيق العملي للإعتقادات والروايات التس أنتجت الإسلام الوضعي الذي تراق الدماء وتنتهك الحريات على أساسه..

وهذه الحوادث وقعت على يد الفقهاء والحكام..

ومن خلال حادثة الرفضي الذي نعته إبن كثير بالخبيث يتبين لنا مدى التطرف والقسوة في التعامل مع المخالف، مع الإشارة هنا إلى أن المسألة برمتها لا صلة لها بأركان الدين وثوابته، وهى لا تخرج عن كونها مسألة مذهبية لا دليل لها حتى من الروايات، فلا توجد رواية تقول من سب الصحابي كفر، أو رواية تبيح دم ساب الصحابي..

هذا مع التنبيه على أن السب هنا ليس سباً بالمعنى المعروف ، وإنما هو صورة من صور النقد، عدها الفقهاء سباً لكونها طالت شخصيات مقدسة في منظورهم من جهة..

ولتحريض العامة على أصحاب الرأي من جهة أخرى,,

وهو ما برر هذا السلوك الجماهيري الوحشي ضد من سموه بالرافضي الخبيث..

والفقهاء هنا ساوو بين ساب الصحابي والمرتد عن الدين ، وهو ما يعني أن الرجال وفق معتقدهم أصبحوا هم الدين..

والإسلام قد نهى عن التمثيل بجثث الموتى، لكن الظاهر أن جثث المخالفين مستباحة..

ومثل هذه الممارسات هى التي أنتجت لنا هذه الجرائم البشعة التي ترتكبها الفرق التكفيرية القتالية في العراق وسوريا وليبيا وغيرها من البلدان..

- حوادث الحكام

وأول حوادثالرأي التي ترنبط بالحكام هى حادثة إحراق المصاحف من قبل عثمان بن عفان..

وهذه الحادثة تعد من الأسباب الرئيسة للثورة عليه إذ إعتبرها التيار المناوئ لعثمان من الصحابة وغيرهم محاولة لفرض صورة جديدة للقرآن تخالف الصورة التي تركها الرسول(ص)..

روى إبن كثير في البداية والنهاية: شاهد – عثمان-إختلاف النلس في القراءة، فعند ذلك جمع الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد..

وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به، دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة، ودفع الاختلاف..

فاستدعى الصحف التي كان زيد بن ثابت جمعها، فكانت عند أبو بكر أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين..

وأمر زيد بن ثابت الانصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الاموي، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي..

وأمرهم اختلفوا في شئ أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفاً، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفاً..

ويقال لهذه المصاحف الأئمة، وليست كلها بخط عثمان، بلولا واحد منها، وهى بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه، وإمارته، كما يقال دينار هرقلي، أي ضرب في زمانه ودولته..

وروى عن أبي هريرة قال: " لما نسخ عثمان المصاحف دخلت عليه فقال: أصبت ووفقت، أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن أنشد أمتي حبا لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، يعملون بما في الورق المعلق، فقلت: أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف..

قال: فأعجب ذلك عثمان وأمر لابي هريرة بعشرة آلاف..

ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه، لئلا يقع بسببه اختلاف..

وقدوي عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فحرق، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت ، وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم، وتلا قوله تعالى * (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) آل عمران: ١٦١

فكتب إليه عثمان يدعوه إلى إتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة..

وروى عن علي: أيها الناس ! إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف،والله ما حرقها إلا عن ملا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل..

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء رواية مسلم عنعبد الله إبن مسعود: والذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الأبل لأتيته..

وقوله: ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما نزلت..

وقوله: لقد قرأت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، وزيد له ذؤابة - يلعب مع الغلمان..

والذُؤابَةُ من الشَعر والجمع الذوائب، والمقصود أنه كانت له ضفيره..

وقال النووي في شرح مسلم: معناه أن ابن مسعود كان مصحفه يخالف مصحف الجماعة، وكانت مصاحف أصحابه كمصحفه، فأنكر عليه الناس وأمروه بترك مصحفه، وبموافقة صحف الجمهور.

وطلبوا مصحفه أن يحرقوه كما فعلوا بغيره، فامتنع، وقال لاصحابه: غلوا مصاحفكم أي: اكتموها..

(ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعني: فإذا غللتموها جئتم بها يوم القيامة وكفى لكم بذلك شرفا..

ثم قال على سبيل الانكار: من هو الذي تأمرونني أن آخذ بقراءته، وأترك مصحفي، الذي أخذته من في رسول الله، صلى الله عليه وسلم ؟
وقال القرطبي في " المفهم: لما رأى عثمان حرق المصاحف ما عداالمصحف الذي بعث نسخته إلى الآفاق، ووافقه على ذلك الصحابة لما رأوا من أبقاءها يدخل اللبس والاختلاف في القرآن، ذكر إبن مسعود الغلول وتلا الآية، ثم قال: إني غال مصحفي فمن إستطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل، فإن الله يقول: (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)، على قراءة من تأمروني أقرأ ؟ على قراءة زيد ! لقد أخذت من في رسول الله بضعا وسبعين سورة، وزيد له ذؤابتان يلعب مع الغلمان ..
ومعنى قوله: غلوا مصاحفكم، أي: اكتموها ولا تسلموها والتزموها إلى أن تلقوا الله بها، كما يفعل من غل شيئا فإنه يأتي به يوم القيامة يحمله..
كان هذا منه رأياً إنفرد به عن الصحابة، فإنه كتم مصحفه ولم يقدر عثمان ولا غيره على أن يظهره..
وانتشرت المصاحف التي كتب بها عثمان إلى الآفاق، ووافقه عليها الصحابة، وقرأ المسلمون عليها، وترك مصحف عبد الله وخفي إلى أن وجد في خزائن بني عبيد بمصر عند إنقراض دولتهم، وابتداء دولة الغز - الكرد..
فأمر صدر الدين قاضي الجماعة بإحراقه على ما سمعنا من شيوخنا..
وقولهلى قراءة من تأمروني أقرأ، قاله، إنكاراً على من أمره بترك قراءته ورجوعه إلى قراءة زيد، مع أنه سابق له إلى حفظ القرآن..
وكان من أعظم الامور على عبد الله أن الصحابة لما عزموا على كتب المصحف بلغة قريش عينوا لذلك أربعة، لم يكن منهم ابن مسعود، وكتبوه على لغة قريش..
ولم يعرجوا على ابن مسعود لأنه كان هذلياً – من قبيلة هزيل -، وكانت قراءته على لغتهم..
وبينها وبين لغة قريش تباين عظيم، فلذلك لم يدخلوه معهم..
وقال المحدث أحمد شاكر: وكان هذا من ابن مسعود حين أمر عثمان بجمع الناس على المصحف الإمام خشية إختلافهم، فغضب ابن مسعود، وهذا رأيه ولكنه أخطأ خطأ شديداً في تأويل الآية على ما أول ،فإن الغلول هو الخيانة..
والآية واضحة المعنى في الوعيد لمن خان أو إختلس من المغانم..
ويظهر لنا مما سبق ان الموقف من مصحف عثمان الذي فرضه على المسلمين لم يكن ينحصر في إبن مسعود وحده، ولو كان الأمر على غير هذه الصورة ، وهو ما أضطر الفقهاء إلى الإستنجاد بالروايات والتأويلات والتبريرات..
وليس هناك ما يشير إلى تراجع إبن مسعود عن موقفه، فليس من السهل ، ولا من المقبول أن يتنازل لزيد بن ثابت الذي لا يوزن بشئ أمامه، بل لا صله له بالقرآن من الأصل..
ورواية دخول أبو هريرة على عثمان وإعلانه التأييد لفعله تثير الشك، ففضلاً عن كونه هو أو حتى عثمان لا صلة لهما بكتابة القرآن، هو أيضاً تدور من حوله الشبهات حول ما ينقله عن الرسول(ص)..
وما زاد الطين بلة هو أمر عثمان له بعشرة آلاف، وهذا يعد رشوة مكشوفة..
وتشير بعض الروايات إلى أن إبن مسعود تعرض للضرب من قبل عثمان بسبب موقفه هذا..
ومما يثير الريب حول فعلة عثمان أنه إقتصر على مصحف حفصه الذي جمع في عهد أبي بكر عن طريق زيد إبن ثابت، وهو مصحف لم يخرج إلى النور إلا على يده..
وكانت هناك مصاحف أخرى في أيدي الصحابة وعلى رأسهم إبن مسعود..
والسؤال هنا : لماذا إختار عثمان هذا المصحف، ولم يختر مصحف عائشة أو علي أو إبن مسعود..؟
والظاهر مما حدث أن الأمر لم يكن يتعلق بالقرآن ذاته وإنما كان يتعلق بعثمان وبني أمية..

وجاء في النجوم الزاهرة حوادث عام ١٦٣هـ : فيها قتل المهدي جماعة من الزنادقة وصلبهم وأحضرت كتبهم فقطعت..

وروى ابن كثير في البداية والنهاية: وفي سنة ٢٤١ أمره بضرب رجل من أعيان الرافضة يقال له عيسى بن جعفر بن شديد مبرحاً يقال له إنه ضربه ألف سوط حتى مات، وذلك بعد أن عزر رجلاً عند قاضي اللشبلية لأنه سب أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة..

إلى نائب بغداد فجاءوا به إليه فضربه بين الناس حد السب، ثم يضرب ضرب المتوسط ثم يطاف به في الجانبين في دجلة ولا يصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين..

: فقال له ذلك معلقاً قبحه الله ولعنه، ومثل هذا يكفر أن كان قد قذف عائشة بالفجور، وفسواها من أمهات المؤمنين، وحرمتهن كلهن، أيضاً، لأنهن أزواج رسول الله..

وجاء في العبر حوادث عام ٢٧٩هـ :وفيها منع المعتضد من بيع كتب الفلاسفة والجدل..

وروى ابن كثير في حوادث سنة ثمان عشرة ومائتين خبرإمتحان الفقهاء على يد المأمون قال: ذكرأول المحنة والفتنة في هذه السنة ،كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن..
وأن يرسل إليه جماعة منهم..
وكتب إليه يستحثه في كتاب مطول وكتب غيره قد سردها ابن جرير الطبري كلها ، ومضمونها الإحتجاج على أن القرآن محدث وكل محدث مخلوق..
وهذا إحتجاج لا يوافقه عليه كثير من المتكلمين فضلا عن المحدثين،
وقد صنف البخاري كتاباً في هذا المعنى سماه خلق أفعال العباد..
والمقصود أن كتاب المأمون لما ورد بغداد قرئ على الناس، وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم إليه، وهم محمد بن سعد كاتب واقدي، وأبو مسلم المستملي، ويزيد بن هارون ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد بن الدورقي..
فبعثهم إلى المأمون إلى الرقة فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك وأظهروا موافقته وهم كارهون، فردهم إلى بغداد وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء، ففعل إسحاق ذلك..
وأحضر خلقا من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم،فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون، وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك، فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم، ووقعت بين الناس فتنة عظيمة فإنا لله وإنا إليه راجعون..
وذكر إبن الأثير في الكامل حوادث نفس العام تحت عنوان :ذكر المحنة بالقرآن المجيد، تفصيلات واسعة عن هذه الحادثة..
وروى إبن كثير في حوادث عام٣٩٣هـ : وفيها إستناب الحاكم بأمر الله على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود ثم بلغه أنه عزر رجلاً مغربياً سب أبا بكر وعمر ، وطاف به في البلد، فخاف من معرة ذلك فبعث إليه فعزله مكرا وخديعة..
وروى في حوادث عام ٤٣٣هـ : وفيها قرئ الاعتقاد القادري الذي جمعه الخليفة القادر، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فسق وكفر..

وروى إبن الأثير في حوادث سنة ٤٠٧هـ :في هذه السنة، في المحرم، قتلت الشيعة بجميع بلاد إفريقية..
وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس ركب ومشى في القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له، فاجتاز بجماعة، فسأل عنهم، فقيل: هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر..
فقال: رضي الله عن أبي بكر وعمر ،إنصرفت العامة من فورها إلى درب المقلى من القيروان، وهو حومة تجتمع به الشيعة، فقتلوا منهم، وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم، طمعاً في النهب، وانبسطت أيدي العامة في الشيعة، وأغراهم عامل القيروان وحرضهم..

وروى في حوادث العام التالي ٤٠٨هـ :وفيها إستتاب القادر بالله المعتزلة والشيعة وغيرهما من أرباب المقالات المخالفة لما يعتقده من مذاهبهم، ونهى من المناظرة في شيء منها، ومن فعل ذلك نكل به وعوقب..

وروى في حوادث سنة ثمان وثمانين وأربعمائة: في هذه السنة في المحرم قتل أحمد خان صاحب سمرقند، وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الإعتقاد، وقالوا هو زنديق..

وكان سبب ذلك أن السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند وأسر هذا أحمد خان قد وكل به جماعة من الديلك ،فحسنوا له معتقدهم وأخرجوه إلى الإباحة ،فلما عاد غى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على إنحلالة من الدين..

فلما كرهه أصحابه وعزموا على قتله قالوا لمستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله فيتمكنوا من قتله..

فعصى طغرل ينال بك فسار أحمد خان بالعسكر إلى قتاله فلما نازل القلعة تمكر العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا إلى سمرقند..

وأحضروا القضاة والفقهاء وأقاموا خصوماً إدعوا عليه الزندقة فشهد عليه جماعة بذلك ،فأفتى الفقهاء بقتله، فخنقوه وأجلسوا إبن عمه مسعود مكانه وأطاعوه..

وجاء في في معركة الواحات ٤٤٨هـ /١٠٥٦م التي خاضهايوسف بن تاشفين قائد جيش المرابطين(ت٥٠٠هـ)، فقد كان قائدا بمقدمة جيش المهاجم، و بعد فتح مدينة سجلماسةعينه الأمير أبو بكر واليا عليها فاظهر مهارة إدارية في تنظيمها. ثم غزا بلاد جزولة و فتح ماسة ثم سار إلى تارودنت قاعدة بلاد السوس و فتحها، و كان بها طائفة من الشيعة البجليين نسبة على مؤسسها علي بن عبد الله البجلي، و قتل المرابطون أولئك الشيعة و تحول من بقي منهم على قيد الحياة إلى السنة..

إبن كثير سنة ثمان وأربعين وأربعمائة: وفيها ألزم الروافض بترك الاذان بحي على خير للعمل، و أمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح، وبعد حي على الفلاح: الصلاة خير من النوم، مرتين، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى بابالكر خ، ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة، وذلك أن نوء الرافضة اضمحل، لان بني بويه كانوا حكاما،وكانوا يقوونهم وينصرونهم، فزالوا وبادوا، وذهبت دولتهم، وجاء بعدهم قوم آخرون من الاتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم ويرفعون قدرهم، والله المحمود، أبدا على طول المدى.

وأمر رئيس الرؤساء الوالي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض، لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه، فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره.

وروى المقريزي في خططه أوالمواعظ والإعتبار حوادث عام ٥٦٦هـ بعد أن قبض صلاح الدين على زمام الأمور في مصر : وشرع في تغييرالدولة وإزالتها،وحجرعلى العاضد وأوقع بأمراء الدولة وعساكرها، وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية،ومدرسة للفقهاء المالكية..

وصرف قضاة مصر الشكلهة: وفوّض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني الشافعيّ ، فلم يستنب عنه في إقليم مصر إلاّ من كان شافعيّ المذهب..

وأخذ الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعيّ ، وإختفى مذهب الشيعة والإسماعيلية والإمامية حتى فقدمن أرض مصر كلها..

وكذلك كانالسلطان الملك العادل نور الدين محمودبن عماد الدين زنكي بن آق سنقر حنفياً فيه تعصب، فنشرمذهب أبي حنيفة ببلاد الشام، ومنه كثرت الحنفية بمصر،وقدم إليها أيضاًعدّة من بلاد الشرق،وبنى لهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة،ومازال مذهبهم ينتشرويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ..

ًماالعقائد فإن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الآشعريّ ،تلميذ أبي علي الجائيّ ،وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر..

فاستمرّ الحال على عقيدة الأشعري بديار مصر وبلاد الشاموأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضاً، لإدخال محمد بن تومرتأي الأشعريّ إليها، حتى أنه صار هذا الإعتقاد بسائر هذه البلاد، بحيث أن من خالفه ضرب عنقه..

والأمر على ذلك إلى اليوم..

وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الإسلام، وعودي من تمذهب بغيرها، وأنكر عليه، ولميولّ قاض ولا قبلت شهادأحد ولا قدّم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلداًلأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طولهذه المدّة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها..

وروى إبن كثير في حوادث سنة ثلاث وستمائة :وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبدا لوهاب ابن الشيخ عبدالقادر الجبلاني بسبب فسقه وفجوره وأحرقت كتبه وأمواله قبل ذلك لما فيها من كتب الفلاسفة وعلوم الاوائل واصبح يستعطى – يشحذ- بين الناس وهذا بخطيئة قيامه على أبي الفرج إبن الجوزي فإنه هو الذي كان وشىبه إلى الوزير إبن القصاب حتى أحرقت بعض كتبه ابن وختم على بقيتها ،ونفى إلى واسط خمس سنين..

وروى المقري في نفح الطيب عنالإمام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر ، القضاعي ، الأندلسي ،للبلنسي ، كان كاتباً للسلطان أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن أبي حفص..

ولما توفي السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر إلى حضور مجلسه ، ثم حصلت له أمور معه كان آخرها أنه قبض عليه ، وبعثإلى داره ، فرفعت إليه كتبه أجمع ، وألفى أثناءها ، فيما زعموا ، رقعة بأبيات أولها :

(طغى بتونس خلف ** سموه ظلما خليفه)

فاستشاط السلطان لها ، وأمر بإمتحانه ، ثم بقتله ، فقتل قعصاً بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨هـ ، ثم أحرق شلوه ، وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه ، وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥هـ.

وجاء في العبر حوادث سنة سبع وسبعمائة عقد مجلس بالقصر فاستتيب النجم ابن خلكان من عبارات قبيحة ودعاو مبيحة للدم وادعاء نبوة ما فاختلفت فيه الآراء ومال إلى الترفق به الشيخ برهان الدين فتاب..

وجاء في حوادث الدهور لابن تغري بردي عام ٨٥٢هـ :عقد مجلس بين يدي السلطان وأدعى على البدر محمود بن عبيد الله الحنفي بان شخصا كان يقرأ في رياض الصالحين للنووي فيما يتعلق بالبعث وكيفياته.. فقال هل يصح هذا أو لا يصح وفوض أمره للحنبلي فشهد عليه أربعة منهم محجورة أحمد بن فرج بن ازدمر وتغري برمش الزردكاش فجدد إسلامه وحقن دمه..

وروى العيدروسي في تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر عن حوداث سنة ٩٠٣هـ نوفيها أمر السلطان عامر بن عبد الوهاب بتقييد رئيس الأسماعيلية سليمان بنحسن بمدينة تعز وأودعه دار الأدب ،وكان يتحدث بما لا يعنيه من المغيبات المستقبلات ،وكان عالم الإسماعيلية وأمر بإحضار كتبه وإتلافها فأتلفت والحمد لله..

-حوادث المذاهب

روى الذهبي في تذكرة الحفاظ:بقي بن مخلد الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن القرطبي الحافظ صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه بن حزم : ما صنف تفسير مثله أصلاً ،مولده في رمضان سنة إحدى ومائتين..

وقد تعصبوا على بقي لاظهاره مذهب أهل الأثر ،فدفعهم عنه أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن المروانى واستنسخ كتبه..

وقال لبقى انشر علمك..

وعن بقيقال لقد غرست للمسلمين غرساً بالأندلس لا يقلع إلا بخروج الدجال..

قال إبن حزم : كان بقى ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجارياً في مضمار البخاري ومسلم والنسائي..

مات في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين..

ونقلالمقري في نفح الطيب كلام إبن حزم عن مسنده: أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه ،وقام جماعة من العامة عليه ومنعوه من قراءته، فاستحضره الأمير محمد وإياهم وتصفحالكتاب جزءاً جزءاً حتى أتى على آخره..

ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا.. وقال لبقي أنشر علمك وارو ما عندك ،ونهاهم أن يتعرضوا له..

ومن أشهر حوادث المذاهب ما وقع للطبري على يد الحنابلة، إذ إعتدوا عليه وحاصروا بيته ومنعوا الناس من التلقي منه والنقل عنه، حتى أنه لما مات منعوا خروج نعشه من بيته..

روى إبن كثير في حوادث عام ٣١٠هـ، عام وفاة الطبري: وقد كانت وفاته وقت المغرب عشية يوم الأحد بقيا من شوال من سنة عشر وثلثمائة..

وقد جاوز الثمانين بخمس سنين أو ست سنين، وفي شعر رأسه ولحيته سواد كثير، ودفن في داره لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم كانوا يمنعون أن يجتمع به أحد ومنعوا دفنه نهاراً ونسبوه إلى الرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من ذلك كله..

وقال إبن الأثير وفي هذه السنة توفي ّ محمّد بن جرير الطبريُّ ، صاحب التاريخ، ببغداد ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ودفن ليلاً بداره، لأنّ العامّة اجتمعت، ومنعت من دفنه نهاراً، وادعو عليه الرفض، ثمّ ادعوا عليه الإلحاد..

مّا ماأذكره عن تعصّب العامّة، فليس الأمر كذلك، وأنّما بعض الحنابلة تعصّبوا عليه، ووقعوا فيه، فتبعهم غيرهم..

ولذلكسوَهو أنّ الطبريّ جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء، لم يصنف مثله، ولم يذكر فيه أحمد بن حَنبَل..

فقيل له في ذلك، فقال: لم يكن فقيهاً، وإنّما كان محدّثاً، فإشتدّ ذلك على الحنابلة، وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد، فشغبوا عليه..

وروى إبن الأثير في حوادث عام: ٣١١ وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المَرْوَزيّ الحَنبلي ّ وبين غيرهم من لعامّة، ودخل كثير من الجند فيها..

ذلك أنّ أصحاب المَرْوَزيّ قالوا في تفسير قوله تعالى: (عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)

هو أنّ الله سبحانه يُقعدالنبيّ ، صلى الله عليه وسلم، معه على العرش..

وقالت الطائفة الأخرى: إنّما هى الشفاعة، فوقعت الفتنة واقتتلوا، فقُتل بينهم قتلى كثيرة..

وروى السيوطي في تأريخ الخلفاء: وفي هذه السنة هاجت فتنة كبرى ببغداد بسبب قوله تعالى " وعسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " فقالت الحنابلة معناها يقعده الله على عرشه..

وقال غيرهم بل هي الشفاعة ودام الخصام واقتتلوا جماعة كثيرة..

وروى إبن كثير في حوادث عام ٤٥٦هـ: ابن حزم الظاهري هو الامام الحافظ العلامة بولد ابن حزم في سلخ رمضان، سنة أربع وثمانين وثلثمائة، فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية، وبرز فيها وفاق أهل زمانه، وصنف الكتب المشهورة، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان أديباً طبيباً شاعراً فصيحاً، له في الطب والمنطق كتب..

وكان من بيت وزارة ورياسة، ووجاهة ومال وثروة،

وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه، فأورثه ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه، وما زالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم، فطردوه عن بلاده، حتى كانت وفاته في شعبان من هذه السنة..

وقال الذهبي في تأريخ الإسلام حوادث عام ٤٦٠هـ عن الطوسي : محمد بن الحسن بن علي . أبو جعفر الطوسي شيخ الشيعة وعالمهم..

توفي بالمشهد المبارك مشهد أمير المؤمنين رضي الله عنه في المحرم . ولأبي جعفر الطوسي تفسير كبير عشرون مجلدة وعدة تصانيف مشهورة قدم بغداد وتعين وتفقه للشافعي ولزم الشيخ المفيد مدة فتحول رافضيا..

وقد أحرقت كتبه غير مرة واختفى لكونه ينقص السلف..

وروى إبن الأثير في حوادث سنة ثمان وثمانين وأربعمائة : في هذه السنة في ذي الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعاكثيراً وسار بهم إلى نيسابور فحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلما لم يجد له مطمعا فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين..

فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية أبا القاسم ابن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية ، فكان الظفر للشافعية والحنفية على لكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة..

وروى الذهبي في العبر حوادث سنة ستين وخمس مائةفيها وقعت فتنة هائلة بإصبهان بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندي وبين غيره من أصحاب المذاهب سببها التعصب للمذاهب..

فخرجوا إلى القتال وبقي الشر والقتل ثمانية أيام قتل خلق كثير وأحرقت أماكن كثيرة..

وروى إبن كثير في حوادث سنة أربع وتسعين وخمسمائة: وفيها وقعت فتنة كبيرة ببلاد خراسان، وكان سببها أن فخر الدين محمد بن عمر الرازي وفد إلى الملك غياث الدين الغوري صاحب غزنة، فاكرمه وبنى له مدرسة بهراة، وكان أكثر الغوريةكرامية فأبغضوا الرازي وأحبوا إبعاده عن الملك..

فجمعوا له جماعة منفقهاء الحنفية والكرامية، وخلقاً من الشافعية، وحضر ابن القدوة وكان شيخاً معظماً في الناس، وهو على مذهب إبن كرام فتناظر هو والرازي، وخرجا من المناظرة إلى السب والشتم..

فلما كان من الغدإجتمع الناس في المسجد الجامع، وقام واعظ فتكلم فقال في خطبته: أيها الناس، إنا لا نقول إلا ماصح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأماعلم أرسطاطاليس وكفريات إبن سينا وفلسفة الفارابي وما تلبس به الرازي، فإنا لا نعلمها ولا نقول بها..

وإنماهو كتاب الله وسنة رسوله، ولاي شئ يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله وسنة رسوله، على لسان متكلم ليس معه على ما يقول دليل..

قال فبكى الناس وضجوا وبكت الكرامية واستغاثوا، وأعانهم على ذلك قوم من خواص الناس، وأتوا إلى الملك صورة ماوقع، فأمر بإخراج الرازي من بلاده، وعاد إلى هراة، فلهذا أشرب قلب الرازي بغض الكرامية، وصار يلهج بهم في كلامه في كل موطن ومكان..

الكرامية هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني وهم فرقة من الفرق التي إنقرضت ومن معتقداتها : أن الإيمان هو القول باللسان، ولا يضر مع ذلك أن يبطن أي معتقد حتى وإن كان الكفر..

وكان الكرامية هددوا الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك على الصحيحين مما أضطره للهرب والإختفاء منهم..

روى إبن كثير في تأريخه حوادث عام ٤٠٥هـ: قال أبو عبد الرحمن السلمي: دخلت على الحاكم النيسابوري وهو مختف من الكرامية لا يستطيع يخرج منهم، فقلت له: لو خرجت حديثا في فضائل معاوية لاسترحت مما أنت فيه..

فقال: لا يجئ من قبلي، لا يجئ من قبلي..

وروى إبن كثير في البداية والنهاية حوادث عام ٤١٧ ثنين عقد مجلس بمشهد عثمان للمنور القرآن الخبر اجتمع الناس أشياء من فرائض الوضوء الصلاة..

عليه فيه، أنه أتى في بعض الأزمنة في زيادة على ما والحديث، وشهد عليه بعض الشهود بأشياء متعددة..

قضى الحال بأن عزم في ذا هذل جن به مقتلا ، فلما كان يوم الخميس الثاني عشر ينه شفع فيه الملك العرب بالأعند نائب السلطنة ، فاستحضر وطبيبه قه أيد يه أهله وعياله..

وروى في حوادث عام ٥٧ هجت بعنوان جمع الرافضي والخبيث وهو يسب الشيخين ويصرح بلعنتهما، ن القاضي إلى القاضي فاستتابه عن ذلك فأبى فضربه التأديبة لعن أبا بكر وعمر حتى مات فأرسل عمر القاضي يستكفهم عنه فلم يستطع ذلك ، ل الرافضي يسب ويلعن الصحابة..

على الضلال، فعند ذلك علم قوله لئن لم يكفوا على الطعن لأشلهم، فعند ذلك حكم عليه القاضي بارقة ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة فبحه الله..

، ثم وكل من علم به أنه يسعى في الحنبلي أربعين يوما، فلم زل ينفعه ذلك في وكل موطن يأمر فيه حتى كان يومه هذا أظهر من مذهبه قبله الجمع الله كما قبح من كان قبله، وقتل في سنة خمس وخمسين..

هو في يوم الاثنين حوادث عام ٧٦ المحرم أحضر حسن بن الخياط من علو الشلى سكن اللحالكي جن، وناظر في إيمان فرعون..

علي عليه بدعاوى لا نتصاره لفرعون لعنه الله صح بلد قتر دافه أو لم ناظ ته في زيا، وهو شيخ يخير جل العامي لا يحسن منه، وإنما قام في مخيمته شبهة يحتج عليها رأى عين فرأى كه الغرق ، وأحرق وطرأى بأس الله ، وعاين ابه الأليم..

ت أنه لا إله لا الذي آمنت به بنوا سرائيل وأنا من المسلمين } يونس: ٩٠

: {الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية} يونس: ٩١

ذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل ية حتى يروا العذاب الأليم} يونس: ٩٦

وروى ابن حجر في إنباء الغمر بأبناء العمر حوادث سنة ٩٥٨: وفي هذه السنة إجتمع بالقدس أربعة أنفس من الرهبان ،ودعوا الفقهاء لمناظرتهم ، فلما إجتمعوا جهروا بالسوء من القول، وصرحوا بذم الإسلام والقائم به – الرسول- وأنه ساحر كذاب، فثار الناس عليهم وقتلوهم وأحرقوهم..

وروى في سادس شعبان سنة تسع عشرة وثمانمائة رفع إلى الأستادار أن نصرانياً في خدمته يقال له ابن الحضري وقع منه ما يقتضي إراقة دمه فأحضر القاضي المالكي وكان من جيرانه وحضر معه خلق كثير، فادعى عليه فأنكر، فتشطرت البينة فحكم القاضي بتعزيره، فعند ما جرد ليضرب أسلم فترك واستمر بياشر ، وقرئ البخاري بالمدرسة المؤيدية..

وجاء في حوادث الدهور لابن تغري بردي عام 852هـ سنة أربع وخمسين وخمس مائة:وفيها قتل بعض أصحاب نقيب العلوية بنيسابور فحمى رئيس الشافعية مؤيد الدين القاتل فقصد لنقيب الشافعيةفاقتتلوا بالبلد وقتل جماعة وأحرق النقيب سوق العطارين وسكة معاد.

فحشد المؤيد والتقى الفريقان واشتد الحرب وعظم الخطب وندرت الرؤوس عن كواهلها وأحرقت المدارس والأسواق واستحر القتل بالشافعية وهرب المؤيد وكاد يخرب البلد وعصى العلوي بالبلد وتعثرت الرعية وتمنوا الموت.

وجاء المؤيد أبيه القائد فشد من الشافعية فبالغ القوم في أخذ الثأر وحرقوا مدرسة الحنفية.

ملحق/١

فـتـوى الـسبـكـي
في جواز قتل ساب الصحابي..

نقل إبن حجر الهيتمي في كتابه الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة هذه الفتوى بتفاصيلها..
قال شيخ الإسلام مجتهد عصره التقي السبكي (ت٧٥٦ه) كنت بالجامع الأموي ظهر يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة ،فأحضر إلي شخص شق صفوف المسلمين في الجامع وهم يصلون الظهر ولم يصل ،وهو يقول لعن الله من ظلم آل محمد..
وهو يكرر ذلك فسألته من هم..؟
فقال أبو بكر قلت أبو بكر الصديق..؟
قال أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد..
فأمرت بسجنه ،وجعل غل في عنقه..
ثم أخذه القاضي المالكي فضربه وهو مصر على ذلك..
وزاد فقال : إن فلاناً – أبو بكر- عدو الله..
شهد عليه عندي بذلك شاهدان..
وقال: إنه مات على غير الحق، وإنه ظلم فاطمة ميراثها، وأنه كذب على النبي (ص) في منعه ميراثها..
وكرر عليه المالكي الضرب يوم الاثنين ويوم الأربعاء الذي يليه ،وهو مصر على ذلك، ثم أحضروه يوم الخميس بدار العدل، وشهد عليه في وجهه ،فلم ينكر ولم يقر ،ولكن صار كلما سئل يقول: إن كنت قلت فقد علم الله تعالى..
فكرر السؤال عليه مرات وهو يقول هذا الجواب، ثم أعذر عليه فلم يبد دافعاً ثم قيل له تب، فقال تبت عن ذنوبي..
وكرر عليه الإستتابة وهو لا يزيد في الجواب على ذلك..
فطال البحث في المجلس على كفره وعدم قبول توبته ،فحكم نائب القاضي بقتله ،فقتل وسهل عندي قتله ما ذكرته من هذا الإستدلال، فهو الذي إنشرح صدري لتكفيره بسببه ولقتله لعدم توبته، وهو منزع لم أجد غيري سبقني إليه إلا ما سيأتي في كلام النووي وضعفه..
و أطال السبكي الكلام في ذلك ،وها أنا أذكر حاصل ما قاله مع الزيادة عليه مما يتعلق بهذه المسألة وتوابعها منها على ما أزيده بأي ونحوها..
فأقول : إدعى بعض الناس أن هذا الرجل الرافضي قتل بغير حق وشنع السبكي في الرد على مدعي ذلك ،بحسب ما ظهر له ورآه مذهباً ، وإلا فمذهبنا كما ستعلمه أنه لا يكفر بذلك..
فقال :كذب من قال إنه قتل بغير حق ،بل قتل بحق لأنه كافر مصر على كفره وإنما قلنا إنه كافر لأمور : أحدها قوله في الحديث الصحيح :من رمى رجلاً بالكفر ،أو قال عدو الله وليس كذلك، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه..

و نحن نتحقق أنا أبا بكر مؤمن ،وليس عدو الله ،ويرجع على هذا القائل ما قاله بمقتضى نص هذا الحديث على الحكم بكفره ،وإن لم يعتقد الكفر كما يكفر ملقي المصحف بقذر ،وإن لم يعتقد الكفر..
وقد حمل مالك هذا الحديث على الخوارج الذين كفروا أعلام الأمة فما إستنبطته من هذا الحديث موافق لما نص عليه مالك، أي فهو موافق لقواعد مالك لا لقواعد الشافعي..

على أنه سيعلم مما سيأتي عن المالكية أن المعتمد عندهم في ذلك هذا الحديث ،وإن كان خبر واحد ،إلا أن خبر الواحد يعمل به في الحكم بالتكفير وإن كان جحده لا كفر به ،إذ لا يكفر جاحد الظني بل القطعي..
وقول النووي إن حمل مالك للحديث على الخوارج ضعيف، لأن المذهب الصحيح عدم تكفيرهم فيه نظر وإنما يتجه ضعفه إن لم يصدر منهم سبب مكفر غير الخروج والقتال ونحوه ،وأما مع التكفير لمن تحقق إيمانه فمن أين للنووي ذلك..؟
و يجاب بأن نص الشافعي وهو قوله: أقبل شهادة أهل البدع والأهواء إلا الخطابية ،صريح فيما قاله النووي مع أن المعنى يساعده ،وأيضاً فتصريح أئمتنا في الخوارج بأنهم لا يكفرون وإن كفرونا ،لأنه بتأويل ،فلهم شبهة غير قطعية البطلان صريح فيما قاله النووي..
ويؤيده قول الأصوليين :إنما لم تكفر الشيعة والخوارج لكونهم كفروا أعلام الصحابة المستلزم لتكذيبه في قطعه لهم بالجنة، لأن أولئك المكفرين لم يعلموا قطعاً تزكية من كفروه على الإطلاق إلى مماته ،وإنما يتجه لتكفيرهم أن لو علموا ذلك لأنهم حينئذ يكونون مكذبين له..
و بهذا تعلم أن جميع ما يأتي عن السبكي إنما هو إختيار له مبني على غير قواعد الشافعية ،وهو قوله جواب الأصوليين المذكور إنما نظروا فيه إلى عدم الكفر ،لأنه لا يستلزم تكذيبه ،ولم ينظروا لما قلناه إن الحديث السابق دال على كفره..
و قد قال إمام الحرمين وغيره بكفر نحو الساجد لصنم ،وإن لم يكذب بقلبه وإلا يلزم على ذلك كفر من قال لمسلم يا كافر ،لأن محل ذلك في المقطوع بإيمانهم كالعشرة المبشرين بالجنة وعبد الله بن سلام ونحوهم..
بخلاف غيرهم لأنه أشار إلى إعتبار الباطن بقوله إن كان كما قال وإلا رجعت عليه نعم يلحق عندي، وإن لم يذكر ذلك متكلم ولا فقيه بمن ورد النص فيهم من أجمعت الأمة على صلاحه وإمامته كابن المسيب والحسن وابن سيرين ومالك والشافعي..
فإن قلت الكفر جحد الربوبية أو الرسالة ،وهذا المقتول مؤمن بالله ورسوله وآله وكثير من صحابته فكيف يكفر..؟
قلت التكفير حكم شرعي سببه جحد ذلك، أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر ،وإن لم يكن جحداً ، وهذا منه ،فهو من أحسن الأدلة في المسألة وينضم إليه خبر حلية الأولياء: من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب..
والخبر الصحيح : لعن المؤمن كقتله وأبو بكر أكبر أولياء المؤمنين ،فهذا هو المأخذ الذي ظهر لي في قتل هذا الرافضي ،وإن كنت لم أتقلده لا فتوى ولا حكماً ،وإنضم إلى إحتجاجي بالحديث السابق ما إشتملت عليه أفعال هذا الرافضي من إظهاره ذلك في الملأ ،وإصراره عليه وإعلائه البدعة وأهلها وغمصه السنة وأهلها..
وهذا المجموع في هذه الشناعة ،وقد يحصل بمجموع أمور حكم لا يحصل بكل واحد منها ،وهذا معنى قول مالك تحدث للناس أحكام بقدر ما يحدث لهم من الفجور ،ولسنا نقول تتغير الأحكام بتغير الزمان ،بل بإختلاف الصورة الحادثة..
فهذا نهاية ما إنشرح صدري له بقتل هذا الرجل ، وأما السبب وحده ففيه ما قدمته وما سأذكره وإيذاؤه(ص) أمر عظيم إلا أنه ينبغي ضابط فيه وإلا فالمعاصي كلها تؤذيه..
ولم أجد في كلام أحد من العلماء أن سب الصحابي يوجب القتل ،إلا ما يأتي من إطلاق الكفر من بعض أصحابنا وأصحاب أبي حنيفة، ولم يصرحوا بالقتل وقد قال ابن المنذر لا أعلم أحداً يوجب القتل لمن سب من بعد النبي(ص)..
نعم حكي القتل عن بعض الكوفيين وغيرهم بل حكاه بعض الحنابلة رواية عن أحمد ،وعندي أنهم غلطوا فيه لأنهم أخذوه من قوله شتم عثمان زندقة..
وعندي أنه لم يرد أن شتمه كفر وإلا لم يكن زندقة لأنه أظهرها ،وإنما أراد قوله المروي عنه في موضع آخر من طعن في خلافة عثمان فقد طعن في المهاجرين والأنصار..

يعني أن عبد الرحمن بن عوف أقام ثلاثة أيام ليلا ونهارا يطوف على المهاجرين والأنصار ،ويخلو بكل واحد منهم رجالهم ونسائهم يستشيرهم فيمن يكون خليفة حتى إجتمعوا على عثمان فحينئذ بايعه..
فمعنى كلام أحمد أن شتم عثمان في الظاهر شتم له ،وفي الباطن تخطئة لجميع المهاجرين والأنصار ،وتخطئة جميعهم كفر، فكان زندقة بهذا الإعتبار فلا يؤخذ منه أن شتم أبي بكر وعمر كفر ،هذا لم ينقل عن أحمد أصلاً، فمن خرج من أصحابه رواية عنه مما قاله في شتم عثمان بقتل ساب أبي بكر مثلاً لم يصنع شيئاً..
و الضابط أن كل شتم قصد به أذى النبي كما وقع من عبد الله بن أبي كفر، ،كما وقع من مسطح وحمنة في قصة الإفك..
وفي الحديث الصحيح: لا تسبوا أصحابيفو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه..

وفي حديث رجاله ثقات ،وإن قال الترمذي إنه غريب :الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ،فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ،ومن آذاهم فقد آذاني ،ومن آذاني فقد آذى الله ،ومن آذى الله يوشك أن يأخذه..
و قوله أصحابي الظاهر أن المراد بهم من أسلم قبل الفتح ،وأنه خطاب لمن أسلم بعده ،بدليل تفاوت الإنفاق فيه الموافق له قوله تعالى(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل)الآية ،فلا بد من تأويل بهذا أو بغيره ليكون المخاطبون غير الأصحاب الموصى بهم ،فهم كبار الأصحاب وإن شمل إسم الصحبة الجميع..
و سمعت شيخنا التاج بن عطاء الله متكلم الصوفية على طريق الشاذلية يذكر في وعظه تأويلا آخر ،هو أنه له تجليات يرى فيها من بعده ،فهذا خطاب لمن بعده في حق جميع الصحابة الذين قبل الفتح وبعده..
فإن ثبت ما قاله فالحديث شامل لجميعهم، وإلا فهو فيمن قبل الفتح ،ويلحق بهم في ذلك من بعده، فإنهم بالنسبة لغير الصحابة كالذين بعد الفتح بالنسبة لمن قبله ،وعلى كلا التقديرين فالظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم ،وكلام النووي وغيره صحيح في ذلك..
ثم الكلام إنما هو في سب بعضهم ،أما سب جميعهم فلا شك أنه كفر، وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابي ،لأنه إستخفاف بالصحبة فيكون إستخفافاً به، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الطحاوي بغضهم كفر..
فبغض الصحابة كلهم وبغض بعضهم من حيث الصحبة لا شك أنه كفر، وأما سب أو بغض بعضهم لأمر آخر فليس بكفر ،حتى الشيخين – أبو بكر وعمر..
نعم حكى القاضي في كفر سابهما وجهين :وجه عدم الكفر أن سب المعين أو بغضه قد يكون لأمر خاص به من الأمور الدنيوية أو غيرها ،كبغض الرافضي لهما ،فإنه إنما هو جهة الرفض..
وتقديمه علياً و ً عتقاده بجهله أنهما ظلماه وهما مبرآن عن ذلك ،فهو معتقد لجهله أنه ينتصر لعلي لقرابته للنبي ،فعلم أن بغض الرافضي للشيخين إنما هو لما استقر في ذهنه لجهله ،وما نشأ عليه من الفساد من إعتقاده ظلمهما لعلي وليس كذلك، ولا علي يعتقد ذلك قطعاً..
ووجه تكفير الرافضي بذلك أنه يعود من إعتقاده ذلك فيهما نقص في الدين لأنهما الأصل بعد النبي في إقامة الدين وإظهاره ، ومجاهدة المرتدين والمعاندين..
ومن ثم قال أبو هريرة : لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد ، لأنه الذي رأى قتال المرتدين مع مخالفة أكثر الصحابة له ،حتى أقام عليهم الأدلة الواضحة على قتال المرتدين ومانعي الزكاة إلى أن رجعوا إليه وقاتلوهم بأمره ،فكشف الله به وبهم تلك الغمة وأزال عن الإسلام والمسلمين تلك المحنة..

ثانيها أعني الأمور الدالة على قتل ذلك الرافضي أنه إستحل لعن الشيخين وعثمان بإقراره بذلك ،ومن استحل ما حرم الله فقد كفر ،ولعن الصديق وسبه محرمان ،واللعنة أشد..
وتحريم لعن الصديق معلوم من الدين بالضرورة لما تواتر عنه من حسن إسلامه وأفعاله الدالة على إيمانه ،وأنه دام على ذلك إلى أن قبضه الله تعالى هذا لا يشك فيه ولا يرتاب..
وإن شك فيه الرافضي ،نعم شرط الكفر بجحد الضروري أن يكون ضروريا عند الجاحد حتى يستلزم جحده حينئذ تكذيبه، وليس الرافضي يعتقد تحريم لعن أبي بكر فضلاً عن كونه يعتقد أن تحريمه ضروري..
وقد ينفصل عنه بأن تواتر تحريم ذلك عند جميع الخلق يلغي شبهة الرافضي التي غلظت على قلبه حتى لم يعلم ذلك ،وهذا محل نظر وجدل وميل القلب إلى بطلان هذا العذر، أي بإعتبار ما ظهر للسبكي ،وإلا فقواعد المذهب قاضيه بقبول هذا العذر بالنسبة لعدم التكفير، لأنه إنما يسب أو يلعن متؤلاً وإن كان تأويله جهلاً وعصبية وحمية لكن باب الكفر يحتاط فيه كما هو مقرر في محله..
ثالثها إن هذه الهيئة الاجتماعية التي حصلت من هذا الرافضي ومجاهرته ولعنه لأبي بكر وعمر وعثمان وإستحلاله ذلك على رؤوس الأشهاد ،وهم أئمة الإسلام والذين أقاموا الدين بعد النبي ،وما علم لهم من المناقب والمآثر كالطعن في الدين والطعن فيه كفر..
فهذه ثلاثة أدلة ظهرت لنا في قتله ،أي بإعتبار ما ظهر ،وإلا فمذهب الشافعي ما قد علمت..
رابعها المنقول عن العلماء فمذهب أبي حنيفة أن من أنكر خلافة الصديق أو عمر فهو كافر ،على خلاف حكاه بعضهم..
وقال الصحيح أنه كافر والمسالة مذكورة في كتبهم في الغاية للسروجي والفتاوى الظهيرية والأصل لمحمد بن الحسن، وفي الفتاوى البديعية ،فإنه قسم الرافضة إلى كفار وغيرهم ،وذكر الخلاف في بعض طوائفهم، وفيمن أنكر إمامة أبي بكر وزعم أن الصحيح أنه يكفر..
وفي المحيط أن محمداً - أي إبن الحسن- لا يجيز الصلاة خلف الرافضة ،ثم قال لأنهم أنكروا خلافة ابي بكر وقد إجتمعت الصحابة على خلافته..
وفي الخلاصة من كتبهم أن من أنكر خلافة الصديق فهو كافر..
وفي تتمة الفتاوى الرافضي المتغالي الذي ينكر خلافة أبي بكر يعني لا تجوز الصلاة خلفه..
وفي المرغيناني وتكره الصلاة خلف صاحب هوى أو بدعة ولا تجوز خلف الرافضي، ثم قال وحاصله إن كان هوى يكفر به لا يجوز، وإلا يجوز ويكره..
و في شرح المختار وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفراً، لكن يضلل فإن علياً لم يكفر شاتمه..

وفي الفتاوى البديعية من أنكر إمامة أبي بكر فهو كافر ،وقال بعضهم وهو مبتدع والصحيح أنه كافر ،وكذلك من أنكر خلافة عمر في أصح الأقوال، ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك..
و أما أصحابنا الشافعيون فقد قال القاضي حسين في تعليقه: من سب النبي يكفر بذلك ،ومن سب صحلياً فسق، وأما من سب الشيخين أو الختنين- عثمان وعلي- ففيه وجهان:
أحدهما يكفر لأن الأمة أجمعت على إمامتهم..
والثاني يفسق ولا يكفر ،ولا خلاف أن من لا يحكم بكفره من أهل الأهواء لا يقطع بتخليدهم في النار ،وهل يقطع بدخولهم النار وجهان..؟
و قال القاضي إسماعيل المالكي: إنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا ،لأنه من الفساد في الأرض ،كما قال في المحارب، وهو فساده في مصالح الدنيا ،وقد يدخل في الدين من قطع سبيل الحج والجهاد..
و فساد أهل البدع معظمه على الدين ،وقد يدخل في الدنيا بما يلقونه بين المسلمين من العداوة ،وقد إختلف قول مالك و الأشعري في التكفير و الأكثر على ترك التكفير..

قال القاضي عياض: لأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى ،ووصف الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذا الخوارج و سائر أهل الأهواء حجج للمكفرين ،وقد يجيب الآخرون بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في غير الكفر تغليظاً وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك ،وقوله في الخوارج إقتلوهم قتل عاد يقتضي الكفر ،والمانع يقول هو حد لا كفر..

قال القاضي عياض في سب الصحابة: قد إختلف العلماء فيه ومشهور مذهب مالك فيه الإجتهاد و الأدب الموجع..

قال مالك: من شتم النبي قتل ،وإن شتم الصحابة أدب..

و قال أيضاً :من شتم أحداً من أصحاب النبي أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص ،فإن قال كانوا على ضلال أو كفر قتل ،وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شيداً ..

و قوله يقتل من نسبهم إلى ضلال أو كفر حسن إذا نسبهم إلى كفر، لأنه شهد لكل منهم بالجنة ،فإن نسبهم إلى الظلم دون الكفر كما يزعم بعض الرافضة ،فهو محل التردد ،لأنه ليس من حيث الصحبة ولا لأمر يتعلق بالدين ،وإنما هو لخصوصيات تتعلق بأعيان بعض الصحابة و يرون أن ذلك من الدين لا تنقيص فيه..

ولا شك أن الروافض ينكرون ما علم بالضرورة ،ويفترون على الصحابة بما يزعمون أنه موافق له ،ونحن نكذبهم في ذلك فلم يتحقق إلى الآن من مالك ما يقتضي قتل من هذا شأنه..

و قال ابن حبيب :من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدباً شديداً، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ،ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي..

قال سحنون :من كذب أحداً من أصحاب النبي علياً أو عثمان أو غيرهما يوجع ضرباً..

و حكى ابن أبي زيد عن سحنون: من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ،ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد..

و قتل من كفر الأربعة ظاهر لأنه خلاف إجماع الأمة إلا الغلاة من الروافض..

فلو كفر الثلاثة ولم يكفر علياً لم يصرح سحنون فيه بشيء ،وكلام مالك المتقدم أصرح فيه..

وروي عن مالك : من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل..

و قال أحمد بن حنبل فيمن سب الصحابة :أما القتل فأجبن عنه لكن أضربه ضربا نكالاً..

و قال أبو يعلى الحنبلي: الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كان مستحلاً لذلك كفر ًوإن لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر..

قال: وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم..

وسئل عمن شتم أبا بكر: قال كافر..

قيل: يصلى عليه..

قال : لا..

و ممن كفر الرافضة أحمد بن يونس وأبو بكر بن هانئ، وقالا لا تؤكل ذبائحهم لأنهم مرتدون..

و قال عبد الله بن إدريس أحد أئمة الكوفة: ليس للرافضي شفعة لأنه لا شفعة إلا لمسلم..

و قال أحمد : شتم عثمان زندقة ،وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنه فاسق..

وممن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر : عبد الرحمن بن أبزى الصحابى..

وعن عمر بن الخطاب أنه قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم مقداد بن الأسود ،فكلم في ذلك ،فقال :دعوني أقطع لسانه حتى لايشتم أحداً من أصحاب النبي..

وفي كتاب إبن شعبان: من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد، حد عنه بعض أصحابنا حدين، حدا له وحدا لأمه ،ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله: من سب أصحابي فاجلدوه..

قال :ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية ،لأنه سب له ،وإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حياً قام بما يجب له، وإلا فمن قام من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه..

قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم ،ولو سمعه الإمام وأشهد عليه وكان ولي القيام به..

ومن سب عائشة رضي الله عنها ففيه قولان: أحدهما يقتل والآخر كسائر الصحابة يجلد حد المفتري..

قال وبالأول أقول..

وروى أبو مصعب عن مالك من سب آل بيت محمد يضرب ضرباً وجيعاً ويشهر ويحبس طويلاً حتى يظهر توبته ،لأنه إستخفاف بحق رسول الله..

و أفتى أبو مطرف فيمن أنكر تحليف إمرأة بالليل ،وقال لو كانت بنت أبي بكر ما حلفت إلا بالنهار بالأدب الشديد لذكر ابنة أبي بكر في مثل هذا..

قال هشام بن عمار : سمعت مالكاً يقول من سب أبا بكر وعمر قتل ومن سب عائشة قتل لأن الله تعالى يقول فيها (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) فمن رماها فقد خالف القرآن ،ومن خالف القرآن قتل..

قال ابن حزم وهذا قول صحيح..

و احتج المكفرون للشيعة والخوارج بتكفيرهم أعلام الصحابة ،وتكذيب النبي في قطعه لهم بالجنة ،وهو احتجاج صحيح فيمن ثبت عليه تكفير أولئك..

و مر أن أئمة الحنفية كفروا من أنكر خلافة أبي بكر وعمر ،والمسألة في الغاية وغيرها من كتبهم كما مر ،وفي الأصل لمحمد بن الحسن ،والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبي حنيفة وهو أعلم بالروافض، لأنه كوفي والكوفة منبع الرفض..

والروافض طوائف منهم من يجب تكفيره ،ومنهم من لا يجب تكفيره ،فإذا قال أبو حنيفة بتكفير من ينكر إمامة الصديق، فتكفير لاعنه عنده أولى إلا أن يفرق ،إذ الظاهر أن سبب تكفير منكر إمامته مخالفته للإجماع ،بناء على أن جاحد الحكم المجمع عليه كافر..

وهو المشهور عند الأصوليين وإمامته مجمع عليها من حين بايعه عمر ،ولا يمنع من ذلك تأخر بيعة بعض الصحابة ،فإن الذين تأخرت بيعتهم لم يكونوا مخالفين في صحة إمامته ،ولهذا كانوا يأخذون عطاءه ويتحاكمون إليه، فالبيعة شيء والإجماع شيء ،ولا يلزم من أحدهما الآخر ،ولا من عدم أحدهما عدم الآخر فافهم ذلك فإنه قد يغلط فيه..

فإن قلت شرط الكفر بإنكار المجمع عليه أن يعلم من الدين بالضرورة..

قلت وخلافة الصديق كذلك ،لأن بيعة الصحابة له ثبتت بالتواتر المنتهي إلى حد الضرورة ،فصارت كالمجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة..

وهذا لا شك فيه ولم يكن أحد من الروافض في أيام الصديق، ولا في أيام عمر وعثمان ،وإنما حدثوا بعده فمقالتهم حادثة..

و جوابه أن الخلافة من الوقائع الحادثة وليست حكماً شرعياً وجاحد الضروري إنما يكفر إذا كان ذلك الضروري حكماً شرعياً، كالصلاة والحج لإستلزامه تكذيب النبي،بخلاف الخلافة المذكورة ،إلا أن يقال إنه يتعلق بها أحكام شرعية، كوجوب الطاعة وما أشبهه..

ومر عن القاضي حسين أن في كفر ساب الشيخين أو الختنين وجهين ،ولا ينافيه جزمه في موضع آخر بفسق ساب الصحابة..
وكذا ابن الصباغ وغيره وحكوه عن الشافعي لأنهما مسألتان ،فالثانية في مجرد السب وهو مفسق ،وإن كان المسبوب من آحاد الصحابة وأصاغرهم بخلاف الأول فإنها خاصة بسب الشيخين أو الختنين ،وهو أشد وأغلظ في الزجر بأن فيه وجها بالكفر..
وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي ،والذي أراه الكفر فيها قطعاً موافقة لما مر، وقد مر عن أحمد أن الطعن في خلافة عثمان طعن في المهاجرين والأنصار..
وصدق في ذلك فإن عمر جعل الخلافة شورى بين ستة عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، فالثلاثة الأخيرون أسقطوا حقوقهم ،وعبد الرحمن لم يردها لنفسه ،وإنما أراد أن يبايع أحد الأولين عثمان أو علياً فاحتاط لدينه..
وبقي ثلاثة أيام بلياليها لا ينام وهو يدور على المهاجرين والأنصار ويستشيرهم فيمن يتقدم عثمان أو علي ،ويجتمع بهم جماعات وفرادى ورجالاً ونساء ويأخذ ما عند كل واحد منهم في ذلك إلى أن إجتمعت آراؤهم كلهم على عثمان فبايعه..
فكانت بيعة عثمان عن إجماع قطعي من المهاجرين والأنصار ،فالطعن فيها طعن في الفريقين ،ومن ثم قال أحمد أيضا شتم عثمان زندقة ،ووجهه أنه بظاهره ليس بكفر وبباطنه كفر ،لأنه يؤدي إلى تكذيب الفريقين كما علمت، فلا يفهم منكلامه كفر ساب الصحابة خلافاً لبعض أصحابه كما مر..
فتلخص أن سب أبي بكر كفر عند الحنفية وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد ،فليس بكفر..
نعم قد يخرج عنه ما مر عنه في الخوارج أنه كفر فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفر ،وإن كفر كفر ،فهذا الرافضي السابق ذكره كافر عند مالك وأبي حنيفة وأحد وجهي الشافعي..
وزنديق عند أحمد بتعرضه إلى عثمان المتضمن لتخطئة المهاجرين والأنصار وكفره هذا ردة ،لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين ،والمرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل..
فكان قتله على مذهب جمهور العلماء أو جميعهم ،لأن القائل بأن الساب لا يكفر لم يتحقق منه أن يطرده فيمن يكفر أعلام الصحابة ،فأحد الوجهين عندنا إنما اقتصر على الفسق في مجرد السب دون التكفير، وكذلك أحمد إنما جبن عن قتل من لم يصدر منه إلا السب ،والذي صدر من هذا الرجل أعظم من السب..
ومر أن الطحاوي قال في عقيدته: وبغض الصحابة كفر فيحتمل أن يحمل على مجموع الصحابة ،وأن يحمل على كل منهم ،لكن إذا بغضه من حيث الصحبة وأما جعل مجرد بغضه كفرا فيحتاج لدليل..
وهذا الرافضي وأشباهه بغضهم للشيخين وعثمان ليس لأجل الصحبة لأنهم يحبون عليا والحسنين وغيرهما ،بل لهوى أنفسهم وإعتقادهم بجهلهم وعنادهم ظلمهم لأهل بيت النبي، فالظاهر أنهم إذا إقتصروا على السب من غير تكفير ولا جحد مجمع عليه لا يكفرون..
خامسها يمكن التمسك أيضاً في قتل هذا الرافضي بأن هذا المقام الذي قامه لا شك أنه يؤذي النبي وإيذاؤه موجب للقتل ،بدليل الحديث الصحيح أنه قال فيمن آذاه من يكفيني عدوي..
فقال خالد بن الوليد أنا أكفيكه فبعثه إليه النبي فقتله، لكن مر ما يخدش في ذلك وهو أن كل أذى لا يقتضي القتل وإلا لعم سائر المعاصي لأنها تؤذيه..
قال تعالى (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) الآية
وهذا الرافضي إنما قصد بزعمه انتصاره لآل بيت النبي فلم يقصد إيذاءه فلم يتضح دليل على قتله..
و أما الوقيعة في عائشة فموجبة للقتل إما لأن القرآن شهد ببراءتها فقذفها تكذيب له وتكذيبه كفر ،وإما لكونها فراشاً له والوقيعة فيها تنقيص له وتنقيصه كفر..

وينبني على ذلك حكم الوقيعة في بقية أمهات المؤمنين فعلى الأول لا يكون كفراً، وعلى الثاني يكون كفراً وهو الأرجح عند بعض المالكية، وإنما لم يقتل قذفة عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول الآية ،فلم يتضمن تكذيب القرآن، ولأن ذلك حكم نزل بعد نزول الآية فلم ينعطف حكمه على ما قبلها..

سادسها مر في الخبر الصحيح لا تسبوا أصحابي من أحبهم أحبني ومن أبغضهم أبغضني ومن آذاهم آذاني..

وهذا يشمل سائر الصحابة لكنهم درجات فيتفاوت حكمهم في ذلك بتفاوت درجاتهم ومراتبهم ،والحرمة تزيد بزيادة من تعلقت به ،فلا يقتصر في سب أبي بكر على الجلد الذي يقتصر عليه في جلد غيره ،لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة ،فإذا إنضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضي الإحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين..

وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الإجتراء عليه فتزداد العقوبة..

وليس ذلك لتجدد حكم بعد النبي بل لأنه شرع أحكاماً وأناطها بأسباب فنحن نتبع تلك الأسباب ،ونرتب على كل سبب منها حكمه، وكان الصديق في حياة النبي له حق السبق إلى الإسلام والتصديق ،والقيام في الله تعالى والمحبة التامة والإنفاق العظيم البالغ أقصى غايات الوسع والإمكان على النبي وأصحابه.. والنصرة التامة وغير ذلك من خصاله الحميدة المذكورة في هذا الكتاب وغيره ،ثم بعد النبي ترتبت له خصوصيات وفضائل أخر ،كخلافته التي قام فيها بما لم يمكن أن يقوم به أحد من الأمة بعده، كما هو معلوم مقطوع به لا ينكره إلا معاند مكابر جاهل غبي..

كمقاتلته لأهل الردة ومانعي الزكاة وما ظهر عنه في ذلك من الشجاعة التي لم يشق أحد فيها غباره ولم يدرك آثاره ،فبكل من ذلك يزداد حقه وحرمته ويستحق من إجترأ عليه زيادة العذاب والنكال..

فلا يبعد لكونه من الدين والفضل بهذا المحل الأسنى والمقام الأسمى أن يكون سابه طاعناً في الدين ،فيستحق القتل على ما مر ،ولقد قتل الله بسبب يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام خمسة وسبعين ألفاً .. قال بعض العلماء وذلك دية كل نبي..

ويقال إن الله تعالى أوحى إلى نبينا أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا، ولأقتلن بالحسين ابن ابنتك سبعين ألفا وسبعين ألفاً..

وهكذا الصديق يظهر تعالى حرمته وحقه بأخذ كثير من الروافض لعنهم الله الذين أخزاهم الله تعالى بقتل هذا الرافضي الخبيث الملعون ،وكانت ترتفع أنوفهم لو صفح عنه..

وقد قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: التعزير يجوز بالقتل وتجرؤ هذا الرافضي على هذا المقام العلي ،الذي هو مقام الصديق والخلفاء الراشدين،من أعلى الأسباب المقتضية للتعزير الذي يجوز به عند أبي يوسف الارتقاء إلى القتل..

فعلم أن قتل هذا الرافضي حق صحيح لا إعتراض عليه بناء على مذهب الحاكم الذي قتله وهو المالكي ،بناء على ما مر من مذهبهم، وكذا على مذهب أبي حنيفة ،وكذا على وجه عند الشافعية ،وكذا على ما مر عند الحنابلة..

فتدبر هذه الواقعة وما سقته لك من كلام العلماء فيها فإن فيها أحكاماً مهمة وفوائد جمة قلما تجدها مجموعة في كتاب ،مرفوعاً عنها النقاب سالمة من الطعن والريب ،منزهة عن التعصب والعيب..

ذكرت في كتابي الملقب بالإعلام في قواطع الإسلام ما يوضح ما أشرت إليه خلال كلام السبكي ،مما يفرع ما قاله على إختياره الموافق لغير قواعد مذهبنا..

فاطلب بيان ذلك من الكتاب المذكور ،فإنه لم يصنف في بابه مثله، بل لم أظفر بأحد من أئمتنا ألف كتاباً في المكفرات وحدها ،ولا إستوعب حكمها على المذاهب الأربعة مع الكلام على كل من مسائله بما ينشرح له الصدر وتقر به العين..

فاستوفيت كل ذلك في ذلك المؤلف العديم النظير عند من سلم من داء الحسد والسخيمة ،ولم ينطو على الفساد أديمه ،نفعني الله به وبغيره ،وأدام علي من جوده وفضله وكرمه وخيره ،إنه الرؤوف الكريم الجواد الرحمن الرحيم وحسبنا الله ونعم الوكيل..

ملحق /٢

نماذج من الكتب التي تجرم الرأي وتؤصل التعصب وإستباحة المخالف

- الرد على الجهمية والزنادقة : إبن حنبل

- الفرق بين الفرق : البغدادي

- الإعتصام : الشاطبي

- إقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم : إبن تيمية

- مجموع فتاوى إبن تيمية

- إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: إبن القيم الجوزية

- أحكام أهل الذمة : إبن القيم الجوزية

- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة : إبن حجر الهيتمي

- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد : محمد بن عبد الوهاب

- الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة

- أعياد الكفار وحكم المشاركة فيها

- إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء

- نصيحة العلماء في وجوب البراءة من أهل الأهواء

- إقامة البرهان على وحوب كسر الأوثان

- الحسام الماحق لكل مشرك منافق

- السيف المسلول على بدعة الإحتفال بالرسول

- الحكم بما أنزل الله

- نواقض الإسلام

- تحذير أهل الإيمان من التقارب بين الأديان

- حكم بناء الكنائس والمعابد في بلاد المسلمين

- قتل المرتد

قائمة مراجع الكتاب

. القرآن الكريم

. كتب السنن

. كتب العقائد

. تأريخ الخلفاء السيوطي

. هدى الساري إبن حجر العسقلاني

. شذرات الذهب في أخبار من ذهب إبن العماد

. وفيات الأعيان إبن خلكان

. الكامل في التأريخ إبن الأثير

. البداية والنهاية إبن كثير

. الملل والنحل الشهرستاني

. الإعتصام للشاطبي

. الوافي بالوفيات إبن الكتبي

. تأريخ بغداد إبن الخطيب

. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة إبن حجر العسقلاني

. تأريخ الإسلام الذهبي

. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة إبن تغري بردي

. إنباء الغمر بأبناء العمر إبن حجر العسقلاني

. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة

. المواعظ والإعتبار المقريزي

. المنتظم في تأريخ الملوك والأمم إبن الجوزي

. العبر في خبر من غبر الذهبي

. نفح الطيب المقري

. الصواعق المحرقة على أهل البدع والزندقة إبن حجر الهيتمي

فهرس الكتاب /

-تقديم

-الإسلام الشرعي والإسلام الوضعي

-الحكام والدين

- البداية الحنابلة

- النص والرأي

-فقه العنف

-القرآن والرأي

-شهداء الرأي

-حوادث الرأي

- حوادث الحكام

- حوادث المذاهب

- فتوى السبكي